الإدارة العامة للثقافة والنشر
سلسلة دعوة الحق
كتاب شهري محكّم

التنصير في أفريقيا

د. عبدالرزاق عبدالمجيد ألارو

السنة الثالثة والعشرون العدد (٢٢٧)
العام ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

كتاب شهري محكَّم يصدر
عن الإدارة العامة للثقافة والنشر
برابطة العالم الإسلامي

عنوان المراسلة
ص. ب : ٥٣٧ مكة المكرمة
الإدارة العامة للثقافة والنشر

التنصير في أفريقيا

د. عبد الرزاق عبد المجيد ألارو

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على من خُتمت به الرسالات السماوية كلها، ويأبى الله تعالى أن يقبل دينا غير ما جاء به، نبينا محمد الأمين، وعلى إخوانه من النبيّين والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذا بحث مختصر عن "التنصير في أفريقيا" : ماضيه وحاضره، وما بين ذينك من الأطوار، وأساليبه، ووسائله أو ميادين نشاطه، وأهدافه، ومدى ما تحقق منها في ضوء النتائج الواقعية، وأهم الجهات التي تقف وراءَه، وأبرز مراكزه ومؤسساته.

ثم ما هو موقف مسلمي هذه القارة مما يجري بين ظهرانيهم من النشاط التنصيري المكثّف، أهو موقف متفرجٍ، أم متعاطفٍ، أم مقاومٍ. ونعرّج أيضا على أسباب نجاح المنصِّرين، وما يُنتظر من المسلمين عمله حيال ذلك، قبل أن نختمه بذكر شيء من الحلول والمقترحات لمواجهة هذا الخطر.

لقد حاولت قدر الإمكان شمول البحث لجميع جهات القارة الأفريقية، وبذلت جَهدي في التركيز على المعلومات المحدَّدة، واعتماد الأصح منها عند التعدد. ولم يخل البحث من جانب التحليل العلمي لبعض القضايا وفق مقرّرات علم دراسة الأديان أو مقارنتها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ البحث قدّم في الأصل في الملتقى السنوي للدعاة من القارة الأفريقية عامَ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، إذ كنتُ فيها يومئذٍ طالباً في مرحلة الدكتوراه. وبعد ذلك قمتُ بتهذيبه وغربلته تمهيدا لنشره بمشيئة الله.

وأجدها فرصةً للتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الجهة المنظّمة للملتقى: لجنة الدعوة في أفريقيا، برئاسة صاحب السمو، الأمير الدكتور/ بندر بن سلمان آل سعود، حفظه الله تعالى ووفّقه لكل خير. ولأساتذتي ومشايخي الذين منحوني ثقتهم في تمثيل مؤسسة تعليمية بحجم الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، في ذلكم المحفل الكبير.

كما لا يفوتني أن أشكر من صميم قلبي معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عبدالمحسن التركي –حفظه الله– على تفضّله بالموافقة على نشر هذا البحث، سائلاً الله تعالى أن يجعل ذلك في موازين حسناته.

هذا، فما كان منه صواباً فمن الله وحده، وبمنّه وكرمه، وما كان خطأً فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه من ذنبي كله. وأصلّي وأسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الرزاق عبد المجيد ألارو

المدينة النبوية

التمهيـــد :

أفريقيـــا أرضـــاً وشعبـــاً

"أفريقيا"، اسم إحدى قارات العالم الست، وهي من قارات العالم الثلاث القديمة (آسيا-أفريقيا-أوروبا).

تعتبر أفريقيا ثاني أكبر القارات مساحة بعد آسيا، وتبلغ مساحتها (٣٠.٣٦٥.٠٠٠)) كم مربع، أي ما يعادل خمس المساحة اليابسة من أراضي العالم[1]. أما مساحتها طولاً وعرضاً فتبلغ خمسة آلاف ميلٍ ((٨٠٠٠ كم) من الشمال إلى الجنوب ، وأربعة آلاف وستمائة ميل (٧٤٠٠ كم) من الشرق إلى الغرب. ويحد القارة شمالاً البحر الأبيض المتوسط، وغرباً المحيط الأطلسي، وشرقاً البحر الأحمر والمحيط الهندي، وجنوباً ملتقى المحيطين الأطلسي والهندي. وكانت أفريقيا تتصل بآسيا في الشمال الشرقي عند شبه جزيرة سيناء، قبل بناء قناة السويس[2].

---

(١) **"Africa."** *Encyclopædia Britannica* from Encyclopædia Britannica ٢٠٠٦ Ultimate Reference Suite DVD (دائرة المعارف البريطانية، مادة "أفريقيا" Africa).

(٢) راجع: روائع المعلومات عن أقطار أفريقيا لـ مصطفى زغلول السنوسي ص٤٥- ٤٩، و الجغرافيا لـ سليمان بن عبد الله الرومي ص١٥- ١٦.

يقدّر عدد سكان أفريقيا بحوالي عُشر سكان العالم[1]، ويعتبر هذا العدد قليلاً مقارنةً بمساحتها. ولعل أحد أسباب قلّة سكانها كون أجزاء كبيرة منها غابات وصحار غير صالحة للسكن، وفي أفريقيا ما يتراوح بين ثمانمائة وألف لغة، مما جعلها أكثر قارات العالم لغةً[2].

لمـــــاذا أفريقيـــا بالـذات؟

التنصير ظاهرة عالمية تنشط في جهات كثيرة من العالم، شرقاً وغرباً، جنوباً وشمالاً، ولكن الملاحظ أن ثمة جهات تحظى بعناية خاصة وتركيز عال من منظمات التنصير وجنوده، ومن هذه الجهات التي يحق أن نسميها مراكز العمليات المكثّفة للمنصّرين: القارة الإفريقية، حيث توجد اليوم ثاني أكبر كنيسة في العالم، وذلك في دولة ساحل العاج.

تركيز منظمات التنصير على أفريقيا لم يأت عن فراغ، بل لذلك دوافع وأسباب، لعل أبرزها ما يلي:

١) كانت أفريقيا المحطة الأولى لانتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية، فتاريخ دخول الإسلام إلى القارة يعود إلى

---

(١) *Encyclopaedia Britannica*, op.cit.

(٢) روائع المعلومات عن أقطار أفريقيا لـ مصطفى زغلول السنوسي ص٤٩

العهد النبوي، حيث الهجرة الأولى للمسلمين من مكّة المكرّمة إلى الحبشة (أثيوبيا حاليا). ويعدّ الدين الإسلامي حتى اليوم دين الأغلبية من بين الأديان الموجودة في هذه القارة.

٢) تمثل أفريقيا رأس الرمح للمدّ الإسلامي في كل من الأمريكيتين غرباً، وفي أستراليا ونيوزيلندا جنوباً. ويزيد في أهمية هذا الأمر أو خطورته أن لأفريقيا وللأفارقة جسورا عرقية وثقافية ممتدّة في عمق الغرب النصراني، بل وبين شعوب جزر المحيطين الأطلسي والهادئ، ولهذا فإنّ أي تحول في القارة الإفريقية سيكون له صداه وانعكاساته هناك[1].

٣) تفشي الفقر والمرض والجهل في هذه القارة، حيث اتخذ المنصرون من كل ذلك وسيلة للوصول إلى أهدافهم، فراحوا يساومون الجائع من الأفارقة على دينه بلقمة الطعام، والمريض منهم بقطرة الدواء، وأنشؤوا مدارس وكليات يدخل الطالب فيها بدين ويخرج منها بآخر، والله المستعان.

وأخيرا، فإنَّ قرب أفريقيا من العالم الإسلامي وارتباطها الوثيق به يعتبر هو الآخر من أهم أسباب تسليط أضواء التنصير على هذه القارة التي ازدهر فيها الإسلام وأوجد فيها

(١) انظر: حزام المواجهة: حرب التنصير في أفريقيا، لـ جبر الله عمر الأمين و مدبولي إسماعيل عثمان ص٣

المسلمون نفوذاً قويّاً قبل أن يتسلل الاستعمار الصليبي الأوروبي إليها بقرون[1].

***

(١) انظر: موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر للدكتور فيصل محمد موسى ص٩٥، و جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي لـ عثمان برايما باري ص٦٧

الباب الأول:

التنصير وواقعه في أفريقيا

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : مفهوم التنصير

الفصل الثاني: مراحل التنصير وتطوره في أفريقيا

الفصل الثالث : أساليب التنصير ووسائله في أفريقيا

الفصل الرابع: الجهات التي تدعم التنصير في أفريقيا

الفصل الخامس: مراكز التنصير ومؤسساته في القارة الأفريقية

أبيض

الفصل الأول :

مفـهـوم التنصــير

المبحث الأول: المدلول اللغوي لكلمة التنصير

التنصير: من نصّره يُنصّره تنصيراً، أي جعله نصرانياً. كما جاء في الحديث: ((... فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه[1])). و"تنصّرَ"، أي دخل في النصرانية.

والنصراني – مفرد ويُجمع على "نصارى"، و"أنصار" قليلاً- نسبةٌ على غير قياس إلى "الناصرة" أو "ناصرة"، وهي قرية في الجليل[2]، نشأ فيها المسيح عليه السلام. ولذلك كان يُعرف بـ"الجليلي" حسبما جاء في إنجيل متّى[3]. أما النسبة إليها على القياس فـ"ناصري"[4]. وقد جاء أيضا في إنجيل

---

(١) متفق عليه؛ انظر: البخاري مع الفتح ٢٤٥/٣ ، و٥١٢/٨. و مسلم ٢٠٤٧/٤

(٢) الجليل: اسم عبري معناه دائرة أو مقاطعة. وقد أطلق على الجزء الشمالي من بلاد فلسطين، ومن أشهر مدنه: صفد والناصرة. (معجم البلدان لياقوت الحموي ١٨٣/٢، وقاموس الكتاب المقدس ص٢٦٥- ٢٦٦، ومعجم بلدان فلسطين لمحمد محمد شراب ص٢٦٥- ٢٦٧).

(٣) انظر: متى ٢٦ : ٦٩

(٤) راجع : القاموس المحيط ص٦٢٢، و لسان العرب ١٦١/١٤- ١٦٢، ومحيط المحيط لبطرس البستاني ص٨٩٦

لوقا: ((فقالا المختصة بيسوع[1] الناصري الذي كان إنساناً نبيّاً...[2])).

أما "النصرانية" فاسم دين النصارى، ويجوز إطلاقها كذلك على واحدة النصارى، فيقال: امرأة نصرانية، كما يقال: رجل نصراني[3].

وفي الاصطلاح، جاء تعريفها في دائرة المعارف البريطانية بأنها ((الديانة التي تعزو أصلها إلى يسوع الناصري، وتؤكّد أنه المختار (المسيح) من الله[4])).

"The religion that traces its origin to Jesus of Nazareth, whom it affirms to be the chosen one (Christ) of God".

***

---

(١) يسوع – المسيح – يسوع المسيح – ابن الإنسان – ابن اللّه ... الخ كلها أسماء تطلق على عيسى عليه السلام في كتب النصارى.

(٢) لوقا ٢٤: ١٩

(٣) القاموس المحيط ص٦٢٢ –بتصرفٍ.

(٤) دائرة المعارف البريطانية ٦٩٣/٥ مادة "النصرانية" (Christianity).

المبحث الثاني: المفهوم الاصطلاحي للتنصير

هناك عدة أقاويل في تحديد مفهوم التنصير، إنْ بالنسبة للمنصِّرين أنفسهم، أو بالنسبة لمن تُوجَّه صوبهم الهجمات التنصيرية. فمن أشهر ما قيل في ذلك:

أ- أن التنصير: ((تحويل الناس من ديانتهم التي يدينون بها ... إلى الديانة النصرانية))[1]. أو ((الدعوة إلى دين النصرانية، ومحاولة نشر عقيدته في أنحاء العالم، بالوسائل والأساليب المتنوعة[2])).

ب- أن التنصير: "تشكيك المسلمين في تاريخهم، وزعزعة عقائدهم"[3].

وهناك طريقة للجمع بين هذين التعريفين، وهي التي ترى أنَّ المهمة الأساسية للتنصير هي تحويل الناس من ديانتهم إلى النصرانية، وإن عجز المنصّرون عن هذا -كما هو الحال في المحاولات التنصيرية لدى المجتمعات المتمسكة بالدين، وبخاصة الإسلامية منها[4] - فحينئذ عليهم أن يشككوهم في

(١) التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية للدكتور أحمد سعد الدين البساطي ص٣١

(٢) النصرانية والتنصير... للدكتور محمد عثمان صالح ص٣١

(٣) التبشير للدكتور أحمد البساطي ص٣٣

(٤) انظر: التنصير في الأدبيات العربية للدكتور علي إبراهيم النملة ص٢٢، وملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي للدكتور إبراهيم عكاشة علي ص٣٨.

عقيدتهم. وبعبارة أوجز: تحويلهم إلى نصارى، وإلاّ فإلى ملحدين أو لا دينيين[1].

ويأتي في مقابل هذا الاتجاه في الجمع رأي آخر يرى أن أولى مهمات التنصير – أو مهمته الوحيدة - هي إخراج غير النصارى من دينه من غير ضرورة إدخاله في النصرانية. وفي هذا يقول أحد أقطاب المؤتمر التنصيري الذي انعقد عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م بجبل الزيتون في فلسطين : ((أتظنون أن غرض التنصير وسياسته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى؟ إن كنتم تظنون ذلك فقد جهلتم التنصير ومراميه ... ولكن الغاية التي نرمي إليها هي **إخراج المسلم من الإسلام فقط** ليكون مضطربا في دينه وعندها لا تكون له عقيدة يدين بها ويسترشد بهديها، وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد أو مصطفى. أما الهداية فينبغي البحث عنها في مكان آخر))[2] . ويقول المنصّر المعروف صمويل زويمر، الذي كان يوما من الأيام رئيس إرساليات التنصير في المنطقة العربية من الشرق: ((... ولكنَّ مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية **فإن في هذا**

---

(١) انظر: التبشير للدكتور أحمد البساطي ص٣١، ومعاول الهدم والتدمير... لإبراهيم بن سليمان الجبهان ص٢٨

(٢) جريدة السياسة المصرية، العدد ٣١٤٥ ، التاريخ ١٩٣٣/٦/٢٠م. نقلاً عن ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ص٣٨

هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله[1])).

ج- أما عن مفهوم التنصير باعتباره علماً قائماً بذاته يحسب له حساب في مجال الأبحاث والدراسات العلمية، فقد قيل إنه: ((قيام الإرساليات بتنصير منطقة معينة، وإنشاء كنيسة وطنية تؤول رعايتها تدريجياً للسكان الوطنيين دون مساعدات خارجية، ويتبنون بدورهم مهام التنصير في المناطق التي لم يصل إليها التنصير))[2]. وجاء تعريف هؤلاء الذين لما يتم الوصول إليهم بأنهم ((ذلك الشعب الذي فيه أقل من ٢٠٪ من النصارى الملتزمين أو النصارى الممارسين لعقيدتهم[3])).

هذا من حيث العموم، وأما عند المنصرين أنفسهم فباستطلاع مقصودهم الخاص بلفظ التنصير نجد أنهم يختلفون في ذلك اختلافهم في مفهوم العقيدة النصرانية ذاتها؛ ففي حين يرى البروتستانتي[4] أن التنصير يعني تنصير المجتمعات غير النصرانية (Non Christian World)، يذهب

---

(١) تنصير المسلمين لـ عبد الرزاق دياربكرلي ص٢٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص١٦٢- ٣

(٢) االتبشير النصراني في جنوب سودان للدكتور إبراهيم عكاشة ص٢٥. واقرأ ما جاء في التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي ص٨٣٣

(٣) التنصير ص٨٤٢

(٤) البروتستانتية: حركة دينية نصرانية تشمل جميع التجمعات العقدية الغربية التي بقيت في دائرة التقاليد النصرانية من غير توافق مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. انظر: (Collier's Encyclopedia١٩/٤٣١)

الكاثوليكي[1] إلى أنه إنما يعني بالضرورة كثلكة جميع الذين لا يؤمنون بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية (Non Roman Catholic World)، أي بما فيهم هؤلاء النصارى البروتستانتيون والأرثودوكسيون[2] [3] الذين لا يرون في البابا خليفةً للمسيح ولا ممثلاً لله على الأرض.

لذا، قيل إن للتنصير مفهوماً مختلفاً داخل المجتمع النصراني، ألا وهو: ((الإبقاء على النصارى داخل دينهم، وظهور دعوات طائفية من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثودوكسية تتنافس فيما بينها لكسب أكبر عدد ممكن من النصارى أتباعاً لها[4])).

والحاصل أن مفهوم التنصير قابل للتطوير والتجديد بحسب ما تقضيه الظروف، وبحسب البيئة أو الإطار الذي

---

(١) الكاثوليكية: إحدى الطوائف النصرانية الرئيسة الثلاث، تحت السلطة العليا للبابا. ويطلق عليها اسم "الكاثوليكية الرومانية" للتمييز وبينها وبين الطوائف الأخرى التي تستخدم لفظ "الكاثوليك" نفسه للدلالة على هويتها وشعائرها. و"الكاثوليك" في أصله اليوناني يعني: العالمية أو الكلية. انظر :
Boettner, Loraine: Roman Catholicism P.٢٢ & Collier's Encyclopedia ٥/٥٦١ & ٢٠/١٤٦

(٢) أصل معنى "الأرثودوكسي" (orthodox): ذو العقيدة السوية. وتطلق الكلمة في الاصطلاح على كل نصراني غير بروتستانتي ولا يسلّم برئاسة البابا الكاثوليكي. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص١٤٨٧

(٣) التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل للدكتور إبراهيم عكاشة ص٢١ ، والتنصير في القرن الأفريقي ومقاومته لسيد أحمد يحيى ص٦٥

(٤) التنصير في الأدبيات العربية ص٢٣

يعمل فيه، بل وبحسب التوجهات أو الانتماءات العقدية والسياسية التي تسيّر هؤلاء المنصّرين. وعليه، فقد نجد أنَّ التعريف الجامع المانع للتنصير هو: نشاط دعوي نصراني بمختلف الوسائل والأساليب، ليتخذ الناس النصرانية دينا لهم، أو يتخلوا عن دينهم الأصيل، وإعادة المخالفين إلى الإيمان بما تقرره الكنيسة المعنية بالنشاط.

***

المبحث الثالث: التنصير أم التبشير

(أو مترادفــات لفــظ: التنصــير)

هنالك ألفاظ ترد مترادفاتٍ للفظ التنصير عند النصارى وفي كتبهم المقدسة، منها:

أ- التكريز (Proclamation). ومن ذلك ما جاء في إنجيل لوقا[1] ((وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم)).

ب- التعميد[2] (Baptism). ومنه ما جاء في إنجيل متّى[3] ((فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس)).

ج- التبشير (Evangelization). ومن ذلك ما جاء على لسان بولس[4] : ((وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشّرين والبعض رعاةً معلّمين. لأجل تكميل

---

(١) ٢٤/٤٧ ، وانظر كذلك مرقس ١٦/١٥

(٢) التعميد عند النصارى يعني أيضا علامة الدخول في النصرانية لأي فرد حتى وإن كان مولودا من أبوين نصرانيين، وذلك بانغماس جزء من الجسم أو كله في الماء، ويتم في الكنيسة وعلى يد كاهن. راجع: الأمور المتيقنة عندنا للقس كارل وليمز الكبير ص١٣٨- ١٤٤، و حقائق أساسية في الإيمان المسيحي لفايز فارس ص٢٤٠- ٢٥٤

(٣) متى ٢٨: ١٨- ١٩

(٤) هو: بولس شاوؤل اليهودي، كان يضطهد أتباع المسيح عليه السلام ، ولكن بعد رفعه ادعى بولس أنه آمن به، وأنه في غنى عن الاتصال أو التعلم من أي من تلاميذ المسيح. واليوم تُنسب إليه أربعة عشر من بين كتب العهد الجديد من كتاب النصارى المقدّس.

القدّيسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح. إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله[1])).

ومنه أيضا تسميتهم الإنجيل بالبشارة ومن ثم الأناجيل الأربعة بالبشائر الأربع[2].

وأشير هنا إلى أنَّ الأخير -أعني التبشير- هو التعبير النصراني لحملات التنصير، بل هو الشائع لدى الكثير ممن كتبوا في الموضوع من المسلمين. وفي رأي الكاتب بل ورأي كثير من ذوي الاختصاص أنه تعبير خاطئ، شأنه شأن التعبير بالمسيحية عوضاً عن النصرانية.

وذلك لأن ما يبّشر به أو يدعو إليه جنود التنصير اليوم مختلف الاختلاف الجوهري عن دعوة المسيح عيسى ابن مريم، عبدِ الله ورسولِه ﷺ، والتي كان من أبرز معالمها أنها دعوة إلى التوحيد وليست إلى التثليث[3]، وأنها خاصة ببني إسرائيل، فما الداعي للتبشير بها أو الترويج لها خارجَ حظيرة الخراف الإسرائيلية الضالة[4]؟

---

(١) رسالة بولس إلى أهل أفسس٤/١١- ١٣ . وانظر كذلك أعمال الرسل٨/٢١، و ٢تيموثاوس٤/٥

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس ص١٧٣

(٣) يعني التثليث عند النصارى الإيمان بثلاثة آلهة متساوين في الجوهر أو بإله واحد في ثلاثة أقانيم وهم: الأب، الابن، الروح القدس. انظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس فايز فارس ص٥٢- ٥٣

(٤) كما هو تعبير الأناجيل على لسان المسيح عليه السلام :"لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" متى١٥: ٢٤، وانظر كذلك متى١٠: ٥- ٦

تقول دائرة المعارف الأمريكية: ((لقد بدأت عقيدة التوحيد حركةً لاهوتيةً، بداية مبكرةً جدا في التأريخ، وفي حقيقة الأمر إنها سبقت عقيدة التثليث بعشرات السنين ... إنَّ عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع للميلاد لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الإله، بل كانت على العكس، انحرافاً عن هذا التعليم[١])).

"Unitarianism as a theological movement began much earlier in history; indeed it antedated Trinitarianism by many decades… Fourth century Trinitarianism did not reflect accurately early Christian teaching regarding the nature of God; it was, on the contrary, a deviation from this teaching".

وجاء في الدائرة البريطانية : ((كان يسوع يهوديا، كما كان جميع تلاميذه (الرسل) أيضا. لذا، فإنَّ المسيحية الأولى إنما كانت في الحقيقة مجرد حركة داخل الديانة اليهودية[٢])).

"Jesus was a Jew, as were all the apostles. Thus the earliest Christianity is in fact a movement within Judaism".

إذاً، فالتبشير بدين عيسى عليه السلام أو دعوته الصحيحة[٣] غير التنصير[٤] أو الدعوة إلى النصرانية التثليثية، التي أسسها وكافح

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية ٢٧/٢٩٤ل

(٢) دائرة المعارف البريطانية٥/٦٩٣

(٣) انظر لوقا ٤: ٤٢- ٤٤ ، و١٠: ١- ٩، وحقيقة التبشير بين الماضي والحاضر لأحمد عبد الوهاب ١١- ١٢

(٤) إذ - كما يقول مايكل هارت – "ليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسؤولاً عما أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية، فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه". (نقلاً عن حقيقة التبشير... ص٤٢)

من أجلها كاتبُ معظم الرسائل أو الكتب المقدسة عند النصارى (في العهد الجديد)، ألا وهو بولس شاؤول اليهودي، المؤسس الحقيقي للنصرانية المعاصرة. وهذا ما أقرّ به المنصفون من النصارى أيضاً، أمثال الأمريكي مايكل هارت، الذي قال: ((كان بولس، أكثر من أي إنسان آخر، المسؤولَ عن تبديل النصرانية من كونها فرقة داخل اليهودية، إلى ديانة عالمية [١])). وقال البروفيسور شارل جنيبير الذي كان رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس: ((بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية[٢]))[٣].

أما لو ذهبنا نبحث عن سبب اختيار المنصرين التعبير عن أنفسهم بالمبشرين وعن عملهم بالتبشير، فنجد أن ذلك يندرج ضمن مخططاتهم في هذا الغزو الخفي الذي يتطلب اختيار لفظ كهذا، يسهل إيقاعه على السامع، بل ويكون له أثر طيب في النفوس، وذلك لإخفاء حقيقة ما يريدون من تحويل المسلم عن دينه أو تشكيكه فيه على الأقل[٤].

---

(١) Hart, Michael. The ١٠٠, A Ranking of the Most Influential Persons in History, p. ٣٤

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص١١١

(٣) ومن أراد التوسع فيما يتعلق ببولس و ما أدخله في النصرانية وما اتّخذ من أساليب لتحقيق ذلك، فيمكن الرجوع إلى كتابي "مصادر النصرانية: دراسةً ونقدًا- المجلد الثاني"، نشر: دار التوحيد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) انظر: النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، للدكتور محمد عثمان صالح ص٤٣، والتبشير وأثره... لأحمد البساطي ٣٢- ٣٣، والجذور

المبحث الرابع: التنصير والاستشراق

الاستشراق هو تلكم الحركة الغربية التي قامت على دراسة العلوم والآداب والثقافة الإسلامية (الشرقية) بهدف معرفة عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاههم وأسباب قوتهم. وقد أسهمت الحركة في صياغة تصورات الغرب عن الإسلام، معبرةً عن الإطار الفكري للصراع الحضاري بينهما.[1]

والذي يهمنا في هذا المقام ليس الخوض في تفاصيل الاستشراق من حيث الأهداف والأساليب والآثار، فذلك مجال آخر يطول الحديث فيه. لكن ما يهمنا ههنا الوقوف على حقيقة العلاقة بينه وبين التنصير أهيٍ علاقة وفاق أم شقاق؟

لقد كان القاسم المشترك بين كلٍّ من الاستشراق والتنصير محاولة تشكيك المسلمين في دينهم؛ حيث كان ذلك مقصدا أساسياً لدى أوائل المستشرقين سواء اليهود منهم أو النصارى. ولا غرابة في ذلك لما نعلم من أن العلاقة بين الشرق والغرب قد قامت –عبر التاريخ– على العداء الديني ورفض الإسلام بديلاً للنصرانية. إلاّ أنَّ العلاقة بين التنصير والاستشراق بدأت تنجلي أكثر فأكثر حين اختار رؤساء الكنيسة النزول بأنفسهم إلى ميدان

=التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر لـ خالد محمد نعيم ص١٣، والتنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي للدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ص١٤

(١) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لسعد الدين السيد صالح ص٨٩، و الموسوعة الميسرة في الأديان ... ص٣٣

الاستشراق؛ حيث لاحظوا أن نجاح حملاتهم التنصيرية في بلاد المسلمين يتوقف إلى حد كبير على مدى إلمام مبعوثيهم بعلوم هؤلاء المدعوين وثقافتهم، فعمدوا إلى إقحام تعليم اللغة العربية في بعض معاهدهم الدينية والجامعات، وأنشئت مطابع عربية وجمع عدد كبير جدا من تراثنا الإسلامي مخطوطه ومطبوعه، حتى إن مكتبة الفاتيكان –مقر إقامة البابا– تضم مجموعةً كبيرة من الكتب العربية والإسلامية[1].

وفي السنوات الأخيرة ظهرت النزعة إلى تحرير الاستشراق من الأهداف التنصيرية، والاتجاه به نحو البحث العلمي المستقل يستهدف المعرفة وحدها مجردةً، فافتُتحت في أكثر من بلد غربي أقسامٌ للدراسات الشرقية أو العربية أو الإسلامية في الجامعات[2]. إلا أن المتتبع لكتابات هؤلاء المستشرقين[3] أو مناهج تلكم الأقسام التي يُزعم أنها علمية، وآثارها المدمرة، المتمثلة في خريجيها وطلابها من أبناء المسلمين خاصةً، يجد أن الاستشراق لا يزال السند القوي للتنصير لا سيما في مجال التشكيك في الإسلام وحجب محاسنه وتشويه صورته.

---

(١) انظر: التبشير والاستشراق لمحمد عزت الطهطاوي ص٣٥، ٣٩- ٤٠. ودائرة المعارف البريطانية ٨/٢٣، والموسوعة العربية الميسرة ص١٢٦١، والمستشرقون والتنصير لإبراهيم النملة ص١٨، و٢٥

(٢) انظر: التبشير والاستشراق للطهطاوي ص٤٠

(٣) ويكفى للبرهنة على هذا ما تحويه دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها هؤلاء المستشرقون. وهي للأسف تتمتع بمكانة علمية مرموقة جدا حتى في أوساط المثقفين المسلمين.

والاستشراق بما أنه سبق التنصير المنظَّم في الدخول إلى بلاد المسلمين فقد كان أكبر ممهدٍ له؛ حيث استفاد المنصّرون من بحوث المستشرقين ودراساتهم لأعراف المسلمين، ومناحي تفكيرهم، فوضعوا خططاً تنصيرية وفق معطيات هذه البحوث، وبناءً على نتائج تلكم الدراسات التي تستحق أن توصف حقاً بالمواد الخامة للتنصير[1].

ومن ناحية أخرى فإن عددا لا يستهان به كثرةً من المستشرقين هم منصّرون في الوقت ذاته. نذكر منهم -على سبيل المثال لا الحصر-: المستشرق دا أكويلا الإيطالي (١٦٧٩م)، و سينكوفسكي الروسي(١٨٥٨م)، و جورج برسي باجر الإنجليزي (١٨٨٨م)، و الأب بارجيس الفرنسي (١٨٩٦م)، وألفرد سمث الكندي(١٩١٦م)، و الأب هنري لامانس البلجيكي (١٩٣٧م)، والأب أوليجر الألماني (١٩٥١م)، و صمويل زويمر الأمريكي (١٩٥٢م)[2].

(١) انظر: التنصير.. لـ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ص٢٠، والإسلام في وجه التغريب لأنور الجندي ص١٤٩، والمستشرقون والتنصير لإبراهيم النملة ص٢٠

(٢) راجع: المستشرقون والتنصير لـ علي بن إبراهيم النملة ص١٧، ٤٩- ١٦٦ و التنصير.. لعبد العزيز العسكر ص٢٠، والإسلام في وجه التغريب لأنور الجندي ص١٤٩

وأخيراً، فإنَّ كلاًّ من الاستشراق والتنصير دعامة للاستعمار أوالاستعباد والاستغلال، الذي عانى منه العالم الإسلامي وغيره في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية[1].

ولهذا كله، نسطيع القول وبقدر كبير من الثقة وعدم التردد إنَّ عمل المستشرقين لم يكن منفصلاً عن عمل المنصِّرين، بل كانت مهمة كلٍّ منهما تدخل في الأخرى. ومن هنا يرى بعض الباحثين أن الاستشراق هو المَصنع، والتنصير هو المصَدِّر أو الموَزِّع لما يصنعه الاستشراق[2]. ويتأكد هذا إذا علمنا أن طلائع المستشرقين من النصارى كانوا ذوي مناصب دينية، بل إنهم قد انطلقوا فعلا من الكنائس والأديرة[3]. أضف إلى هذا أن الانطلاقة الرسمية للاستشراق بدأت من مجمع فينا الكنسي سنةَ ٧١٢هـ/ ١٣١٢م الذي أوصى بإنشاء عدة كراسي للغات –ومنها العربية– في الجامعات الأوروبية الرئيسة[4]. على أننا في نهاية المطاف يجب أن نعترف بأن العلاقة بين الظاهرتين (الاستشراق والتنصير) لا يمكن وصفها بأنها عموم وخصوص لا مطلقاً ولا من وجهٍ؛ فالاستشراق ليس كله تنصيرا، والتنصير ليس كله استشراقا.

---

(١) التنصير ... لـ عبد العزيز العسكري ص١٩

(٢) الإسلام في وجه التغريب لأنور الجندي ص١٤٩

(٣) المستشرقون والتنصير لإبراهيم النملة ص١٩

(٤) انظر: احذروا الأساليب الحديثة... لسعد الدين صالح ص٤٠، والمستشرقون والتنصير لإبراهيم النملة ص٢٢

وبعبارة أوضح: ليس كل مستشرق منصّراً كما أنه ليس كل منصّرٍ مستشرقاً. والله تعالى أعلم.

***

الفصل الثاني :

مراحل التنصير وتطوره في أفريقيا

لم تنشأ حركة التنصير دفعةً واحدة، فهي كغيرها من الحركات نشأت بتدرّجٍ ومرّت بمراحل حتّى أصبحت على ما هي عليه الآن. وفي هذا الفصل إن شاء الله، نستطلع أهم الأطوار التي مرّت بها الحركة التنصيرية بوجه عامٍ، وعلى التراب الأفريقي بصفة أخص.

المبحث الأول: البداية المبكرة.

للحديث في هذا الجانب بأسلوب علمي يتسم بالموضوعية، لابد أن نفرّق بين التبشير بمعنى الدعوة إلى دين المسيح ﵇ الحق وبين التنصير بمعنى الدعوة إلى نصرانية بولس الصليبية أو محاولة تشكيك الناس في دينهم كما أسلفت. إذ نجد أن الأول قد بدأ مع ظهور رسالة المسيح ﷺ نفسها وهو موجّه فقط إلى غير المؤمنين به من بني إسرائيل خاصة. جاء في إنجيل متى: ((وكان يسوع يطوف كلَّ الجليل يعلّم في مجامعهم ويكرزُ ببشارة الملكوت ويشفي كل مرضٍ وكل

ضعف في الشعب[1])). وفي لوقا[2] : ((وكان الجُموع يفتّشون عليه فجاءوا إليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم[3] . فقال لهم إنه ينبغي لي أن أبشِّر المدن الأُخَر أيضا بملكوت الله لأني لهذا قد أُرسلتُ. فكان يكرز في مجامع الجليل)). بل وجّه تلاميذه بالمعنى نفسه إذ قال – وفق ما جاء في إنجيل متى[4] – ((هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا. وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)).

أما التنصير العالمي فَبَطَله ومُنشؤه بولس؛ مبتدع عالمية النصرانية ذاتها. لذلك، يعتبر بولس المنصّر الأول، وواضع أسس التنصير العالمي، ومؤسس علم التنصير[5]. وهذا سر ما نجده اليوم من كون المنصّرين إنما يستمدون خططهم واستراتيجياتهم في الغالب من تعاليم هذا الرجل وأعماله[6].

---

(١) متى ٤ : ٢٣

(٢) ٤ : ٤٢- ٤٤

(٣) أي أهل كفرناحوم وهي أيضا مدينة في الجليل كما في لوقا ٤ : ٣١

(٤) ١٠ : ٥- ٦

(٥) انظر: يهوذا الاسخريوطي على الصليب لمحمد أمير يكن ص٣٠٢، نقلاً عن التنصير في الأدبيات العربية ص١٩

(٦) انظر: مثالاً لا حصراً- التنصير؛ (أبحاث وقرارات مؤتمر كولورادو التنصيري) ص١١٣- ١١٤، وقاموس الكتاب المقدس ص١٧٣ مادة "مبشّر".

واستمرت بعد ذلك حملات التنصير هنا وهناك عدةَ قرون، برز خلالها كثير من أقطابه، أمثال لويس التاسع ملك فرنسا (١٢٧٠م) الذي قاد الحملة السابعة للحروب الصليبية (١٢٤٨-١٢٥٠م)، وقد أشار على البابا إنوسنت الرابع بإنشاء أول جمعية تنصيرية سنة ١٢٥٣م، و ريمون لول الإسباني (١٣١٦م) الذي تزعَم مهمة العودة بالتنصير غزواً فكرياً بعد فشل الغزو العسكري لبلاد المسلمين، المتمثل في الحروب الصليبية، فكانت تلك مرحلةَ تحولٍ وتوسعٍ في تاريخ التنصير العالمي.[1]

وأما على الصعيد الأفريقي، فيرجع تاريخ دخول التنصير في القارة إلى القرن الميلادي الثالث عشر؛ حيث قدم القديس فرانس إلى مصر عام ١٢١٩م في محاولة تنصيرية فردية[2]. ومنذ القرن الميلادي الخامس عشر دخل المنصّرون الكاثوليك أفريقيا أثناء الاكتشافات البرتغالية[3]، كما أن الرحالة البريطاني دافيد ليفنستون (١٨٧٣م) الذي اخترق أواسط أفريقيا كان منصرا قبل أن يكون

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي لـ أ.ل . شاتليه ص٢٢، و التنصير في الأدبيات العربية ص٢١، و احذروا الأساليب الحديثة...لـ سعد الدين صالح ص٣٩- ٤٠

(٢) احذروا الأساليب الحديثة ... لسعد الدين صالح ص٤١

(٣) الغارة على العالم الإسلامي لـ شاتليه ص٢٦، و التبشير في جنوب سودان لعكاشة ص٣٨، و الموسوعة الميسرة في الأديان ... ص١٥٩، و الإسلام في وجه التغريب لأنور الجندي ص٥٣.

مستكشفاً. وهذا ما قالت عنه الموسوعة البريطانية التي ترجمت لليفنستون قائلةً: ((المنصّر والمستكشف الاسكتلندي الذي كان له دور تأسيسي لمواقف الغرب تجاه أفريقيا[1])).

"Scottish missionary and explorer who exercised a formative influence upon Western attitudes toward Africa".

وفيما يلي أذكر شيئاً من تواريخ حلول أول بعثة تنصيرية في بعض الأقطار الأفريقية:-

١- **نيجيريا**: عام ١٤٧٢م، حيث نزل منصرون برتغاليون كاثوليكيون بمدينتي واري وبنين شرقي البلاد وبنوا فيها مدارس وكنائس. أما دخول أول بعثة تنصيرية بروتستانتية فكان في عام ١٨٤١م حيث نزل المنصرون الإنجليز بمدينة بداغري جنوبي البلاد[2].

٢- **مصر**: عام ١٧٥٢م، والبعثة أو الإرسالية ألمانية[3]

٣- **سيراليون**: عام ١٨٠٤م، والإرسالية بريطانية بروتستانتية[4].

٤- **الكونغو**: عام ١٨٠٤م، والإرسالية بروتستانتية[5].

---

(١) Encyclopedia Britannica CD; Living stone, David.

(٢) انظر: موجز تاريخ نيجيريا لآدم عبد الله الإلوري ص٨٨

(٣) انظر: التبشير وأثره ... لأحمد البساطي ص١١١

(٤) الغارة على العالم الإسلامي لـ شاتليه ص١٢٣، ١٢٥

(٥) المرجع نفسه ص٢٦

٥- **كينيا**: في عام ١٨٤٠م أذنت الحكومة الإنجليزية لمنصّر ألماني بتأسيس فرع لجمعية التنصير الكنسي في مدينة ممباسة. ثم في عام ١٨٦٠م حلت بمدينة بوجا مايو الساحلية أول بعثة تنصيرية كاثوليكية[١].

٦- **السودان**: عام ١٨٤٦م، والإرسالية بقيادة القسيس أورفالدر[٢].

٧- **أوغندا**: عام ١٨٧٦م، والإرسالية بروتستانتية. وذلك إثر تصريح ملك البلاد عام ١٨٧٥م برغبته في اقتباس التربية الأوروبية، وما كاد أن يذيع خبر تصريحه هذا حتى تبرع اثنان رغبا في إخفاء اسميهما بمبلغ ١٢٥ ألف فرنك لتجهيز وإرسال بعثة تنصيرية إلى هذا البلد الأفريقي![٣].

٨- **جيبوتي**: عام ١٨٨٩م، والإرسالية فرنسية[٤].

٩- **المغرب**: عام ١٨٩٥م، والإرسالية أمريكية[٥].

١٠- **شمال الصومال**: عام ١٨٩٧م، والإرسالية بريطانية بروتستانتية[٦].

---

(١) التنصير في القرن الأفريقي ص٧٤

(٢) انظر: الإسلام في وجه التغريب للجندي ص٤٧، و التبشير وأثره... للبساطي ص١٤٥

(٣) الغارة على العالم الإسلامي ص١٢٩- ١٣٠

(٤)التنصير في القرن الأفريقي ص٧٣

(٥) انظر: ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ص١٦٤

(٦) انظر: التنصير في القرن الأفريقي ص٧١

١١- **جنوب الصومال**: عام ١٩٠٤م، والإرسالية إيطالية كاثوليكية[١].

وأما البلدان الأخرى فلم أقف على تواريخ محددة لدخول بعثات التنصير فيها، إلاَّ أنه من المؤكد تزامن وجود التنصير في هذه الدول مع تواجد القوى الاستعمارية فيها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[٢].

***

(١) المرجع نفسه ص٧٢

(٢) انظر: الإسلام في وجه التغريب ص٥٥، و التنصير في القرن الأفريقي ص٦٩

المبحث الثاني: مرحلة الاستعمار.

ثم تأتي مرحلة الاستعمار الذي صال وجال في جلّ بلاد المسلمين، لا سيما في القارة الأفريقية في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. وفي هذه الأثناء، بدأ التنصير يأخذ طابع التنظيم من خلال وجود البعثات التنصيرية التي تنظمها الهيئات الدينية النصرانية، وتدعمها الحكومات الغربية المستعمِرة ماديًا أو معنويًا. وأصبح للتنصير وجود ملموس داخل المؤسسات العامة، لا سيما التعليمية والاقتصادية منها[1].

التنصير والاستعمار في القارة الأفريقية:

لقد اعتبر الكثير من الباحثين الإرساليات التنصيرية في أفريقيا جزءً من الاستعمار الغربي. ولعل أقوى برهان على ذلك كون الاستعمار والتنصير لم ينفك أحدهما عن الآخر قط، فلم يوجد بلد أفريقي وطأته أقدام المستعمرين، إلا وترافقهم أو تلحق بهم فورًا جنود التنصير[2] . هذا إذا لم يكن التنصير هو الأصل، ويزحف من ورائه الاستعمار باعتباره الجسر الذي يعبر عليه لتنفيذ مخططاته التوسعية[3] . ففي الغالب نجد أن

(١) انظر: التنصير في الأدبيات العربية ص٢١ –بتصرف- .

(٢) انظر: الغارة على العالم الإسلامي ص٢٦- ٢٧، التبشير وأثره... للبساطي ص١٥٥، و وجاء دور الإسلام لرضا محمد العراقي ص٥٦

(٣) انظر: أفيقوا أيها المسلمون لـ شلبي ص٩، وقوى الشر المتحالفة (الاستشراق- التبشير- الاستعمار) لمحمد محمد الدهان ص٤٨، و الإسلام في وجه التغريب ص١٩و٩٠، و معاول الهدم والتدمير لإبراهيم

التنصير يمهد للاستعمار أولاً، ليصبح الاستعمار بعد ذلك مسهّلاً لحملات التنصير[1]. وفي هذا يقول اللورد بلفور -الذي كان وزير خارجية بريطانيا وصاحب الوعد المشهور بخصوص جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود- : ((إن المبشّرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمِرة، وعضدها في كثير من الأمور المهمة، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيرا من العقبات. ولذلك، فإنّا في حاجة إلى لجنةٍ دائمةٍ تعمل لما فيه صالح المبشّرين[2])).

ويقول هـ. كونوي زيغلر (H.Conway Zeigler) في رسالته للماجستير بجامعة برنستون الأمريكية: ((لقد سار المكتشفون والتجار والجنود والمنصّرون معا من فتح إلى فتح... ولكن ليس من شك في أن التوسع الاستعماري كان له وجهان اقتصادي وسياسي. وكان النشاط التنصيري جزءً أساسياً من هذا التوسع الأوروبي[3])).

الجبهان ص١٢٣، وما تقدم (ص٢٧)من ترجمة ليفنستون في الدائرة البريطانية.

(١) انظر: التنصير في الأدبيات العربية ص٢١، والإسلام في وجه التغريب ص١٩، و حقيقة التبشير... ص١٥٤، و موجز تاريخ نيجيريا للإلوري ص٨٩، و مأساتنا في أفريقيا لـ عماد الدين خليل ص٧١و٨٧.

(٢) قوى الشر المتحالفة ص٤٨

(٣) ترجمة الرسالة المذكورة للدكتور مازن صلاح مطبقاني ص٣١ (تحت عنوان: أصول التنصير في الخليج العربي)

وقال نابليون الأول في جلسة مجلس الدولة في ٢٢ مايو ١٨٠٤م: ((إن في نيتي إنشاء مؤسسات الإرساليات الأجنبية، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيرا لي في آسيا، و**إفريقيا**، وأمريكا. سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار؛ إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية[١])).

ويقول منصّر آخر: ((لقد أكد مرسوم البابا نيقولا الخامس الذي صدر عام ١٤٥٤ حق البرتغاليين في الاحتلال السلمي لكل أراضي الكفرة [يعني غير النصارى] التي قد تكتشف على طول الساحل الغربي لأفريقيا[٢])). وأختم هذه النقول بما ورد في خطاب كينيث كاوندا –رئيس جمهورية زامبيا السابق– إلى رئيس إحدى الإرساليات التنصيرية، وذلك أيام كفاح كاوندا ضد الاستعمار البريطاني : ((حينما يريد رجل إنجليزي سوقاً جديدة لبضائعه الفاسدة التي صنعها في مانشستر، فإنه يرسل مبشّرا لتعليم الأهالي بشارة السلام، ويقتل الأهالي المبشّر، فيهب الإنجليزي إلى حمل السلاح دفاعاً عن المسيحية، ويحارب من أجلها، ثم يستولي على السوق مكافأةً من السماء[٣])).

---

(١) الرب والله وجوجو (الأديان في أفريقيا المعاصرة) لـ جاك مندلسون –ترجمة إبراهيم أسعد- ص٢٠٩، نقلاً عن حقيقة التبشير ... لأحمد عبد الوهاب ص١٢٨

(٢) Stephen Neill; A History of Christian Missions, London, ١٩٦٤ p.١٤١ ، نقلا عن حقيقة التبشير ص١٢٨

(٣) الرب والله وجوجو ... ص١٥١، نقلاً عن حقيقة التبشير ... ص١٣١

هذا، ويعد من الاستراتيجيات الجديدة للمنصّرين المعاصرين التنصل ومحاولة إنكار أي صلة بين عملهم وبين الاستعمار، وذلك حين لاحظوا أن من أسباب فشل حملاتهم التنصيرية في هذه المناطق التي خضعت لظلم الاستعمار نظرة أهلها إليهم على أنهم خلفاء المستعمرين الذين أذاقوهم الويلات[1]. لكن التاريخ ثابت ولا يمكن محوه أو تناسيه مهما بلغت الحيل والخداع.

***

(١) انظر: التنصير (مؤتمر كولورادو) ص١٣٦، ١٦٥، ٢٠١، ٢٠٢، و٢٠٤- ٢٠٥. وتنصير المسلمين لـ عبد الرزاق دياربكرلي ص٣٩

المبحث الثالث: مرحلة توحيد جهود التنصير.

لقد أسلفنا الحديث عن التباين في مفهوم التنصير بين الطائفتين الكاثوليكية والبروتسانتية[1]، فمن الطبيعي أن تكون لكلٍّ وجهة هو مولّيها. أما بعثات التنصير الكاثوليكية في أفريقيا وفي غيرها فكانت تنعم بتخطيط مركزي صادر عن قيادة موحدة تتمثل في الكنيسة الرومانية، بينما كان النشاط التنصيري البروتسانتي خاضعا دائما للاجتهادات الشخصية سواء من أفراد أو جماعات صغيرة – أمريكية أو أوروبية- تختلف في ميولها السياسية وانتماءاتها القومية، مما نجم عنه التراجع في الأداء أو الجمود وعدم التقدم. لذلك استدركوا على أنفسهم هذا الوضع عبر الخطوات العملية الآتي ذكرها:-

الأولى:- عقد مؤتمرات التنصير

وقد كانت فاتحة ذلك عموماً في الهند سنة ١٨٥٥م حيث انعقد في كلكتا المؤتمر العام للمنصرين البروتستانت في البنغال. وأما بخصوص القارة الأفريقية فكان أول هذه المؤتمرات في جنوب أفريقيا عام ١٩٠٠م ثم عامي ١٩٠٦، و١٩٠٩م. كما عقد مؤتمر مماثل في القاهرة عام ١٩٠٦م، وسبق ذلك إنشاء جمعية تنصير شمال أفريقيا في عام ١٨٩٢م[2].

---

(١) انظر: ص ٥

(٢) انظر: احذروا الأساليب الحديثة ... لسعد الدين صالح ص٤١

الثانية: إنشاء مجالس التبشير

كانت نقطة الانطلاق في عام ١٩١٠م بمدينة ادنبرج، حيث عقد مؤتمر تنصيري تمخض عنه تشكيل "اللجنة الدئمة للمؤتمر" تحقيقا لفكرة جوستاف فارنك الذي يوصف بأنه أعظم مخطط تنصيري ألماني. وسبق أن قَدَّم بحثاً في مؤتمر لندن التنصيري عام ١٨٨٨م، دعا فيه إلى تشكيل لجنة مركزية منتخَبة تنسّق أعمال هذه المؤتمرات التنصيرية(١) . ثم في عام ١٩٢١م – عقب الحرب العالمية الأولى- تكوّن "المجلس التنصيري الدولي" (IMC) برئاسة الدكتور جون موت، كما قام في هذه الأثناء أيضا عدد من "المجالس النصرانية الوطنية" (NCC)، منها على الساحل الشرقي لأفريقيا: مجلس كينيا النصراني الوطني، الذي اعتبر من أنجح هذه المجالس(٢) . وأما في غرب أفريقيا فقد عقد في نيجيريا "المؤتمر النصراني لكل أفريقيا" عام ١٩٥٨م، تمخض عنه تشكيل "لجنة دائمة"، مهمتها الإعداد للمؤتمر التالي الذي عقد في كينيا عام ١٩٦٣م.

الثالثة: اتحاد الكنائس مع مجالس التنصير

شهدت الفترة ما بين ١٩٤٦م و ١٩٦١م تعاونا بين المؤسستين : الكنائس من جهة، والإرساليات التنصيرية

---

(١) انظر: Stephen Neill: A History of Christian Missions, London ١٩٦٤, p.٥٤٣ ، نقلاً عن حقيقة التبشير لأحمد عبد الوهاب ص٢٠٥. وانظر كذلك: التبشير والاستشراق للطهطاوي ص٧

(٢) انظر: حقيقة التبشير لأحمد عبد الوهاب ص٢٠٦

المختلفة من جهة أخرى. وقد أدى ذلك في نهاية الأمر إلى قيام "مجلس الكنائس العالمي" (WCC). ولأول مرة في تاريخ النصارى أعلنت الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثودوكسية أنها جميعها كنائس تقع على عاتقها مسؤولية تنصير العالم[1].

***

(١) راجع في كل ما تقدم: حقيقة التبشير لأحمد عبد الوهاب ص٢٠٣- ٢٠٧

أبيض

الفصل الثالث :
أساليب التنصير ووسائله في أفريقيا

إن أساليب المنصّرين ووسائل عملهم في أفريقيا لا تختلف في جوهرها عن نظائرها في بقية مناطق العالم. اللهمّ إلا ما يتعلق بانتقاء الملائم من هذه الأساليب حسب البيئة والظرف والمستوى الثقافي لدى المنصَّر من جهة، والإمكانات المتاحة لدى المنصِّر من جهة أخرى. ففي هذا الفصل نعرض إن شاء الله مجموعةً من هذه الأساليب أو الوسائل، مع التركيز على ما يتم استخدامه منها على الصعيد الأفريقي.

المبحث الأول: في المجال الديني

ونعني بهذا: الأساليب المتبعة في تنصير مسلمي أفريقيا وغيرهم تنصيراً صريحاً. وذلك بدعوتهم إلى هجر دينهم لعدم صلاحيته في زعم المنصّرين، وقبول المسيح رباً ومخلصاً. ومن هذه الأساليب:

أ) إقامة محاضرات عامة في المدن الكبيرة، لا سيما إذا كان أغلب أهلها من المسلمين.

وتصل بهم الجرأة في أحايين كثيرة إلى الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم بصورة مغلوطة يصطادون بذلك البسطاء

من المسلمين، مستغلين جهلَ الكثير من المسلمين لدينهم. يقول المنصّر جون تاكلي: ((يجب أن نستخدم كتابهم (أي القرآن الكريم) وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً. يجب أن نُري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً[1])). وأذكر فيما يلي ما شاهدته بنفسي أو سمعت به من هذه الاستشهادات المغلوطة:-

١- استدلال المنصّرين على صحة ديانتهم بقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (البقرة:٦٢)[2].

وهذا سوء فهم أو سوء قصدٍ، أو كلاهما من هؤلاء المنصّرين. إذ الواضح من الآية الكريمة، وغيرها من النصوص الشرعية الأخرى أنّ إيمان اليهود هو التمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى عليه السلام. أما وقد جاء عيسى عليه السلام فمن تمسك بالتوارة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكاً. وإيمان النصارى أنَّ من تمسك بالإنجيل

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٤٠

(٢) ويستدلون كذلك بالآية ال ٦٩ من سورة المائدة

منهم وشريعة عيسى عليه السلام كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد ﷺ، فمن لم يتّبع محمدًا ﷺ منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى عليه السلام والإنجيل كان هالكاً[1].

٢- استدلالهم على بطلان دين المسلمين بقوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ**﴾ (الماعون:٤). أي دون أن يذكروا ما بعد الآية الكريمة، وهو ما يبيّن نوع هؤلاء المصلّين الموعودين بالويل والعذاب. أعني قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ (الماعون:٥).

٣- طعنهم في النبي ﷺ بما ورد في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ (الأحقاف:٩)

والصواب في تفسير جملة " **وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ**" من الآية الكريمة عند أئمة التفسير كالطبري وابن كثير وغيرهما، وهو قول الحسن البصري -رحمهم الله جميعاً- أن معناها: لا أدري ما يُفعل بي ولا بكم في الدنيا، أأُخرج كما أُخرجت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي؟ أم أُقتل كما قُتلت الأنبياء من قبلي؟ ولا أدري أيُخسف بكم أنتم المشركين، أو تُرمون بالحجارة؟ أما في الآخرة فمعاذ الله، وقد علم ﷺ أنه في الجنة. قال ابن كثير: ((وهذا القول هو الذي عوّل عليه ابن

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٢٣/١ ، و تفسير ابن كثير ١٤٧/١

جرير، وأنه لا يجوز غيره. ولا شك أنَّ هذا هو اللائق به ﷺ، فإنَّه بالنسبة إلى الآخرة جازمٌ أنه يصير إلى الجنة، هو ومن اتبعه. وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمرُه وأمر مشركي قريش، إلى ماذا: أيؤمنون، أم يكفرون فيُعذَّبون فيُستأصلون بكفرهم؟))[١].

ويؤيّد هذا التفسير كون الخطاب من مبتدأ السورة إلى هذه الآية خطابا للمشركين، و خبرا عنهم، وتوبيخا لهم، و احتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عليهم. فبه يُعلم أنَّ هذه الآية أيضا سبيلها سبيل ما قبلها و ما بعدها في أنها احتجاج على هؤلاء المشكرين، و توبيخ لهم، أو خبر عنهم. فمحال إذاً، أن يقال للنبي ﷺ : "قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي و لا بكم في الآخرة"، و آيات كتاب الله عزوجل في تنـزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلَّدون، و المؤمنون به في الجنان منعمون، و بذلك يرهبهم مرة و يرغبهم أخرى[٢].

ب- استخدام من يرتد عن دينه من المسلمين ليكون هو بنفسه منصّراً

ونلمس هذا اللون من أساليب المنصّرين واضحاً على صفحات الشبكة العنكبوتية (الإترنت) تحت عناوين مثل "لماذا تركت الإسلام"، "كيف تركت الإسلام"، ونحو ذلك.

(١) تفسير ابن كثير ١٩٧/٤ ، وراجع أيضاً: تفسير الطبري ٥/٢٦- ٦

(٢) بتصرف من تفسير الطبري ٦/٢٦

بل تجدهم أحياناً يوردون ما يسمونه شهادات للنصارى الجدد تحت أسامي إسلامية واضحة، كمحمد، ووليد، وسراج، ونحوها[1].

وعلى الصعيد الإفريقي، أذكر رجلاً في نيجيريا يُدعى Akewu gba Jesu (المؤمن بالمسيح بعد أن كان عالماً مسلماً)، فيأتي هذا الرجل وأمثاله، ويعلنون على الملأ بأنهم كانوا مسلمين متدينين قبل أن يهديهم الرب لقبول يسوع (المسيح) رباً مخلصاً، في زعمهم.

وهذا الأسلوب التنصيري، على الرغم من خطورته، بيد أنّه يجدر بالذكر أنه قد يكون من أساليب الحرب النفسية التي يشنها المنصّرون لتشكيك المسلين في دينهم، وليس إلاّ. فادّعاء بعض هؤلاء كونهم مسلمين في الماضي لا صحة فيه، ويظهر ذلك أحياناً من صياغة ما يورَد على لسانهم من شهادات أو اعترافات يلحظ فيها المتبصر أساليب الفبركة والخداع. ومهما يكن من أمر، فإنّ أسلوباً كهذا بالغ الخطورة والتأثير في عوام المسلمين، فليُحذر منه أشد الحذر.

---

(١) انظر مثلاً: موقع
: www.bible-koran.com/English/Testimonies، أو بمجرد استخدام إحدى محركات البحث على الإنترنت بإدخال عبارات نحو: "كيف تركت الإسلام"، "لماذا تركت الإسلام" ... إلخ

ج- استغلال حب المسلمين وتقديسهم للغة العربية

حيث يعمد هؤلاء المنصرون إلى توزيع نـشرات تنـصيرية وترجمات لكتابهم المقدّس باللغة العربية بين المسلمين من غـير العرب، الذين عادةً ما يزدحمون بل ويتقاتلون أحياناً من أجـل الحصول على نسخةٍ أو أكثر من هذا المنشور العربي الإسـلامي في اعتقادهم! ولقد تعرّض الكاتب شخصياً لحملـة تنـصيرية كهذه في عام ١٩٨٩م، إذ كـان حينهـا طالبـاً في كليـة الحقـوق بجامعة نيجيرية، أما المنصّر – وهو جاري في السكن الجامعي– فكان هو الآخر طالبا في كلية التربية في الجامعة نفـسها، حيـث كان يأتيني بانتظامٍ بنشرات تنصيرية عربيـة مطبوعـة في مـصر وتونس، فالحمد لله على الهداية والثبات.

د- **زيارة المنصرين والمنصرات** للبيوت والسجون، والمستشفيات، وأماكن التجمع المختلفة، كمواقف السيارات والملاعب والمطاعم والمراكز التجارية وداخل الحافلات العمومية والقطارات، والحديث مع الناس بما يوافق رغبتهم وثقافتهم، وتجنب مواضع الخلاف، حتى لو أدى ذلك إلى تنازل المنصّر نفسه عن بعض أساسيات إيمانه. وليس ذلك بأمر عسير على النصارى عموما، نظراً لكثرة ما دخل دينهم من التحريفات والتغييرات.

ويعد هذا الأسلوب من الأساليب الجديدة للتنصير، وإن كانت جذوره ترجع إلى مؤسس ديانتهم بولس، القائل: ((فصرتُ لليهود كيهودي لأربحَ اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربحَ الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس. مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح ... صرتُ للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كلّ شيء لأخلِّصَ على كل حالٍ قوماً[1])). وفي شرحٍ لهذه النصوص في بعض بحوث مؤتمر كولورادو التنصيري، قال الباحث: ((والذي يعنيه الرسول بولس من هذا كله أنه بالنسبة لقضية الثقافة فإن مبلغ الرسالة وليس المستمع هو الذي عليه أن يتغير[2])). وأضاف يقول: ((إن جوهر ما يقصده الرسول بولس أنه هو نفسه كان يهوديا مع اليهود ووثنياً مع الوثنيين ... فهل لدينا الجرأة على سلوك مسلك يسوع والرسول بولس وأن ندعو إلى "مسيح متجسد بشكل إسلامي" كي نصل إلى المسلمين؟ ... هل يمكننا أن نكون قد اتبعنا النموذج الذي أعطانا إياه المسيح في التجسد إذا ما قمنا بلبس العمائم والجلابيب، وذهبنا إلى أماكن عبادتهم حتى لو نظر إلينا الناس خطأً كمسلمين؟[3])).

---

(١) ١- كورنثوس ٩: ٢٠- ٢٢

(٢) التنصير (قرارات مؤتمر كولورادو التنصيري) ص١١٣

(٣) التنصير (قرارات مؤتمر كولورادو التنصيري) ص١١٤

ومن أمثلة هذا النوع من الأسلوب التنصيري دعوة المسلمين إلى أفكار نصرانية ولكن بشكل إسلامي، فيتم بناء الكنائس على هيئة المساجد، ولا يمانعون في إقامة صلاة يركع فيها هؤلاء المنصَّرون(١) ويسجدون، ولكن يجب أن يقرؤوا فيها فقرات من الكتاب المقدس بدلا من الآيات القرآنية. ويسمح لهم بصيام رمضان من منطلق "الصحة للجسم الأفريقي"، ولا مانع من جعل الجمعة يوم العبادة الجماعية، أو الاحتفال بالأعياد الإسلامية شريطة أن يتم بطريقة كنسية بحتة(٢).

وأوصى مؤتمر كولورادو التنصيري بأن تترك الأحذية عند الباب في المساجد العيسوية (كنائس المتنصّرين من المسلمين)، وأن لا تكون هناك مقاعد، بل تستعمل الحصائر أو السجادات، لكن يجب أن لا ((يولوا وجوههم نحو الشرق [القبلة] ولن يكون هنالك أي شعار أو دعوة للجهاد على حيطان المسجد العيسوي (إذ إن المسلمين العيسويين قد يقررون مستقبلاً كتابة شيء عن المسيح على تلك الحيطان(٣))).

ومن هذا الباب أيضا ما نسمع الآن عبر موجات إذاعات التنصير من ترتيل نصوص كتابهم المقدس بالأسلوب والشكل

---

(١) وهم في اصطلاحهم: "مسلمون عيسويون"، وكنيستهم: "مسجد عيسوي"، انظر: التنصير ص٦١٢

(٢) انظر: وجاء الدور على الإسلام لـ رضا العراقي ص٦٣- ٦٤

(٣) التنصير ص٦١٣

اللذين يرتَّل بهما القرآن الكريم، وإلقاء المواعظ بأساليب الوعظ و الخطبة المعهودة لدى المسلمين، مع اختيار يوم الجمعة لبث هذا البرنامج زيادةً في التلبيس[1]. واستعمال المصطلحات الإسلامية في حديثهم عِوَضًا عن المصطلحات النصرانية؛ ف"عيسى" بدل "يسوع" و"الجنة" بدل "ملكوت السماوات". فهذا ما شاهدته بعيني رأسي وسمعته بأذنيّ عند مدخل بيتي، إذ جاءنا اثنان من المنصِّرين خلال إجازتي الصيفية عام ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م قائليْن إنهما جاءا ليحدثانا عن الجنة ونعيمها، فيا لهما من مخادع وماكر!

هـ- **الدعوة إلى الحوار النصراني الإسلامي** التي كان منطلقها المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني في روما بين عامي ١٩٦٢م و ١٩٦٥م[2]. والقصد من ذلك إظهار أنفسهم أمام المسلمين على أنهم ليسوا أعداءً لهم، وأنهم مثلهم مؤمنون بكتاب سماوي. وعليه، فعلى الأب أو الزوج الذي يمنع ولده أو زوجه من اختيار النصرانية دينا –إن هو اقتنع بذلك– التخلي عن مثل هذا التصرّف[3]!.

(١) انظر: التنصير ص٥٤٥- ٥٤٦

(٢) انظر: مصادر النصرانية: دراسةً ونقدا لـ عبد الرزاق عبد المجيد ألارو – رسالة ماجستير- ص٥٥٥- ٥٥٦

(٣) راجع: Christian Witness Among Muslims P.٤٧-٧

ومما يستهدفونه أيضاً من وراء مثل هذا الحوار: مزيدٌ من التشكيك وزعزعة عقائد المسلمين، إذ الحوار كالمعاهدات، يظفر فيها بالغنائم مَنْ هو أقوى يداً وأرفع صوتاً[1].

***

(١) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية لمصطفى خالدي وعمر فروخ ص٢٥٨

المبحث الثاني: في مجال التربية والتعليم

من المؤسف جدا أن يجعل المنصرون التعليم الذي هو أحد سبل تحرر الإنسانية ورقيّها، وسيلةً إلى استعباد الأفراد والأمم، وسلب أغلى ما عندهم، ألا وهو الدين والعقيدة. يقول المنصّر هنري هريس جسّب: ((إن التعليم في [مدارس] الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط. هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم، حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين، وشعوبا مسيحية))[1].

كان المنصّرون أول من بدأ التعليم الغربي في أفريقيا غير العربية. ففي أوغندا مثلاً ظل التعليم في أيديهم قرابة نصف قرن (١٨٧٧-١٩٢٥م). وكان المنصّرون يحملون أعباء أساسية في إدارة المدارس في جميع الدول الإفريقية الخاضعة للاستعمار[2]، وما زال التعليم –حتى اليوم- وسيلة أساسية تستغل حتى الآن لخدمة الأهداف التنصيرية هناك.

ومما يمت إلى هذا المجال بصلة: إنشاء المدارس الأجنبية، سواء في عهد الاستعمار أو بعده. ففي نيجيريا مثلاً ما تزال هذه المدارس بأسمائها النصرانية (الأنجليكانية أو الكاثوليكية أو مدرسة القديس بولس، أو يوسف، أو برنابا، أو الأسقف

---

(١) Jessup, Henry Harris. Fifty-Three years in Syria. New York ١٩١٠ p.٥٩٢ نقلاً عن: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٦٦

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٢٤٣

سميث ... الخ)، وتمنع تدريس التربية الإسلامية إلا ما ندر، مع أنها تفرض تدريس الدراسات الإنجيلية على الرغم من أنَّ أغلب الطلبة في بعضها مسلمون.

لقد كانت تلكم المدارس مسؤولة مسؤولية مباشرةً عن تنصير عدد كبير من أوائل الطبقة المثقفة في البلاد. وسبق أن درس كاتب هذه الأسطر على يد رجل يدعى "عثمان جمعة" في إحدى الكليات الحكومية في نيجيريا أواخر الثمانينات من القرن الميلادي العشرين. حيث إنّ الرجل قد وُلد مسلما من أبوين مسلمين، ولكنه تنصّر في المدرسة بعد ذلك، وأمثاله كثيرون جدا.

فهكذا يوظِّف المنصِّرون في أفريقيا التعليم لا سيما في مراحله الأولى لخدمة مصالحهم حتى اليوم. وننقل هنا كلام المنصّر الشهير جون موط حيث قال: ((يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد ... إن اختبار الإرساليات في الجزائر، فيما يتعلق بهذا الأمر، وكما ظهر من بحوث مؤتمر شمالي أفريقية، اختبار جديد ومقنع ... وهكذا نجد أن وجود التعليم في يد المسيحيين لا يزال وسيلة من أحسن الوسائل للوصول إلى المسلمين[1])). وكتب منصّر آخر

---

(١) Mott, The Moslem World of Today p. ٣٧١-٣٧٢ نقلا عن: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٦٨

مقالاً في مجلة العالم الإسلامي –وهي مجلة تنصيرية– تحت عنوان:"شمالي نيجيريا ميداناً للتنصير"(Northern Nigeria as a Mission Field)، استعرض فيه حالة الأميّة المرتفعة جدا هناك، ثم خلص إلى القول بأن ((هذا يتيح فرصة عظيمة للتعليم التبشيري المسيحي[1])). وأما المنصّرة أنّا ميليغان فتقول هي الأخرى: ((في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات. وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليست ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافةً من هذه المدرسة[2])).

وعلى العموم فإن عدد أبناء المسلمين الذين يشرف المنصّرون على تعليمهم في أفريقيا بلغ في عام ١٩٨٦م نحو خمسة ملايين طالباً وطالبةً[3]. ويخطئ من يزعم من الآباء أن هدف مدارس الإرساليات التنصيرية هو إخراج أولادهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم أو التمدن. فقد جاء في مذكرة لسكرتير إرسالية تنصيرية في جنوب السودان عقب إنشاء مدرسة "يي" هناك عام ١٩١٧م ما نصه: ((وبما أن المدرسة

(١) انظر: The Moslem World , April ١٩٣٥ pp. ١٧٣ ff. نقلا عن التبشير والاستعمار في ... ص ٧٠

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٨٧

(٣) انظر: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ص١٦

أنشئت أساساً لتكون وسيلة لنشر رسالة المسيح وتعليم قراءة الإنجيل، فإن نجاحها ينبغي أن يقاس بالمدى الذي تبرهن فيه استطاعتها في إنجاز ذلك أكثر من مقياس ارتفاع مستوى عملها في مجال التعليم[1])).

وأما على مستوى الجامعات فهناك في نيجيريا وحدها كليات اللاهوت بالعشرات تمنح الدرجات العلمية المختلفة (البكالوريوس والماجستير والدكتوراه)، في حين ليست للمسلمين –حتى الآن- كلية إسلامية حقيقية واحدة. أضف إلى هذا أنّ من بين أكثر من ثلاثين جامعة أهلية أذنت الدولة بإنشائها، فإن نصيب المسلمين لا يتجاوز ثلاث جامعات فقط، والبقية كلها للنصارى والمنصّرين.

ولو ذهبنا إلى شمال إفريقيا، ومصر بالتحديد فهناك الجامعة الأمريكية التي تم تأسيسها –على غرار الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية في بيروت حاليا)- لتكون على مقربة من جامعة الأزهر ومنافسة لها[2]. ولا نبالغ إن قلنا إن من أهم مظاهر استغلال التعليم للتنصير الجامعات ومراكز التعليم الغربية أو التي تنهج نهجها، فهذا البرفيسور بروس

(١) التبشير النصراني في جنوب سودان ص١٧٢

(٢) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٧٩، و التنصير في الأدبيات العربية ص٤٧، والتبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية للبساطي ص١٠٧، و أفيقوا أيها المسلمون لـ عبد الودود شلبي ص٢٢

بينيت لورانس رئيس كرسي قسم تدريس الأديان في جامعة ديوك الأمريكية يعترف فيقول: ((إن الجامعات تتم إساءة استغلالها لتقديم تصورات مغلوطة عن الإسلام من أجل تنصير المسلمين))، ومثَّل لذلك بقضية المدعو : لامين سانيه – مسلم متنصر- الذي يقدم دورات ومناهج عن الإسلام ويدرّسه في الجامعات، مضيفاً أنه قد تقدم للتدريس في جامعة ديوك التي يترأس البروفيسور لورانس نفسه قسم تدريس الأديان فيها[1].

***

(١) انظر: جريدة المدينة؛ العدد ١٣٣٧٢، الاثنين ٢١/ شعبان/ ١٤٢٠هـ ١٩٩٩/١١/٢٩م. ص١٥، وراجع كذلك: التبشير والاستشراق للطهطاوي ص٣- ٤

المبحث الثالث: في المجال الاجتماعي

يرفع المنصّرون شعارات برّاقة جذّابة، مثل: "الصحة للجميع" ، "الطفل للمدرسة لا للعمل"، "إنصاف العمال" "حقوق الإنسان"، "حقوق المرأة" ... الخ. وليتها كان الهدف منها الإصلاح الحقيقي، لا أن تُتّخذ ذرائع للتسلل بالتنصير إلى المجتمعات المسلمة، وإنكار كل ما في الإسلام من فضيلة.

ومن أهم الوسائل المستخدمة في هذا المجال الإرساليات الطبية التنصيرية (Medical Evangelistic Missions) التي تستغل حاجات الأهالي، لا سيما في القرى والأرياف النائية إلى العلاج والدواء[١]. وكان المنصّرون الأمريكيون سباقين إلى هذا الميدان منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر[٢].

تفيد الإحصائيات التنصيرية بأن هناك -حتى عام ١٩٧٨م- أربعين عيادة طبية تتنصيرية موزعة في الجزء الشمالي من نيجيريا والنيجر فقط[٣]. وهؤلاء الأطباء يرون أنفسهم منصِّرين في المقام الأول قبل أن يكونوا أطباء. وليس هذا افتراءً منا، بل هو اعترافهم أنفسهم؛ فهذا الدكتور ر. كوك (مؤسس الإرسالية الطبية في منجو بأوغندا) يقول: ((إن أهداف هذا

(١)انظر: التبشير النصراني في جنوب سودان ص١٦٣، و التنصير في الأدبيات العربية ص٤٥

(٢) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٥٩ ، والتبشير النصراني في جنوب سودان ص١٦٣

(٣) انظر: التنصير (مؤتمر كولورادو) ص٣٣٥

النوع من البعثات هو أولاً إضفاء روح الشفقة الدينية على البعثات التبشيرية الحديثة، ولتأكيد حقيقة القرابة المشتركة بين أفراد الأسرة العالمية، ثم تمهيد الطريق للإنجيل إلى قلوب بني البشر، **وأخيرًا**: معالجة الناس من الأمراض[1])). وقال المنصر س.أ. موريسون (S.A.Morrison): ((نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة، معرفة ربنا يسوع المسيح، وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية[2])).

وعلى الرغم من أنهم يرون أن الأفضل أن يتم التنصير الطبي في المستشفيات، إلا أنهم ربما فضلوا أحياناً زيارة المريض في بيته، لا رفقاً به، وإنما كما يقول موريسون نفسه: لـ((تكون الفرصة سانحة حتى يبشّر هذا الطبيب بين أكبر عدد ممكن من المسلمين في القرى الكثيرة، في طول مصر وعَرْضه[3])).

ومن الواقع المشاهد في دولة مثل نيجيريا أن بعض الأطباء النصارى الذين يعملون في المستشفيات العامة والخاصة يعرضون على مرضاهم التنصّر، معلنين أمامهم أنَّ

---

(١) R. Cook; Medical Missions, CMO. Vol., LXIV, ١٩١٨, p. ١٤٨ نقلاً عن: التبشير في جنوب سودان ص١٦٣

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٥٩- ٦٠

(٣) المرجع السابق نفسه ص٦٠

العلاج الحقيقي لما يعانون منه ليس في المستشفى ولا عند الطبيب، وإنما في الكنيسة وعند القسيس.

ومما يُذكر أيضاً أنَّ بعض المنصّرين فتحوا مستوصفاً في بلدة الناصر في السودان، وكانوا لا يعالجون المريض أبدا حتى يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح(١). وفي بلاد الحبشة كانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المرضى ويسألون المسيح أن يشفيهم(٢). كل هذا دفع ببعض الغيورين من المسلمين لإنشاء مستشفيات خاصة(٣) يجد المسلم الصعلوك فيها بديلاً، يقيه – بإذن الله – من الحملات التنصيرية التي لا تتردد في استغلال الكوارث والأمراض في تنفيذ مخططاتها. إلا أن هذه المستشفيات الإسلامية كثيراً ما تعاني من نقص حاد في الأدوية والأيدي العاملة لقلة الإمكانات المادية، بالإضافة إلى أن كثيرا من المسلمين لا يزالون على الاعتقاد بأن الأطباء النصارى أمهر من الأطباء المسلمين، أو أن مستشفيات النصارى/ المنصرين أفضل من مستشفيات المسلمين،(٤) وإن كان الواقع خلاف ذلك.

---

(١) انظر: Milligan, Anna A. Facts and Falks in Our Fields abroad, Philadelphia ١٩٢١ p.١٥٨ نقلا عن: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٦٢

(٢) المرجع نفسه ص٦٢

(٣) منها المستشفى الإسلامي في مدينة شاكي جنوبي نيجيريا.

(٤) انظر: التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي للعسكر ص٣٣- ٣٤

وقد أصبح من المألوف في كثير من بلاد أفريقيا اليوم إعلان المنصِّرين بين الحين والآخر عن العلاج المجاني لمرضى العيون والعرج والجذام وغيرها، وذلك قبل مجيئ الطبيب بوقت طويل. فإذا تجمع المرضى ومعهم ذووهم، منتظرين قدوم المعالج، فإذا بمنصّر يقوم فيهم بالدعوة لقبول المسيح في حياتهم – كما يقولون–[1]. وفي بعض الأماكن لا يأتي أي طبيب معالج سوى هذا القس المنصّر، فيلجئون إلى خداع من نوع آخر حيث يزعمون أن فلانا من الناس كان أعرج فشفي بعد حضوره هذا الاجتماع، أو أنَّ علاّنا كان أعمى فرد عليه بصره ... وهكذا. والفلان والعلاّن – في حقيقة الأمر– من منظمي هذا الاجتماع الخداعي الدجلي أنفسهم.

وبعثات الإغاثة التنصيرية هي الأخرى لا تقل خطورةً، حيث تقدّم للمحتاجين والمشرّدين الأطعمة والملابس والخيام وغيرها على أنها مِنح من المسيح، وذلك بإيحاء واضح عن طريق الرموز والشعارات، أو بطريق خفي أحيانا خشية أن ينكشف أمرهم فيُبتعد عنهم[2] . وقد حصل من هذا القبيل الشيء الكثير في الصومال المسلمة، والله المستعان[3] .

ولقد حدثني ثقة بما وقع في بلد أفريقي يعاني أهله من الفقر والجوع، حيث جاءت منظمات إسلامية توزع كتاب الله

---

(١) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٦٢

(٢) انظر: التنصير في الأدبيات العربية ص٤٧

(٣) انظر: وجاء الدور على الإسلام لـ رضا العراقي ص٦٣

العظيم مجاناً على الأهالي، ثم جاءت إلى الموقع نفسه شاحنات المنصرين تسقط الخبز والحليب على الحضور فانصرف جلهم إليها تاركين المصاحف وراءهم ولو إلى بعد حين. ومن المعلوم أن ميزانيات الهيئات التنصيرية في هذا المضمار تتجاوز المائة وثمانين مليار دولار في السنة، في حين أن مجموع ميزانيات الهيئات الإغاثية الإسلامية في السنة –مع ما تقوم به من أعمال جليلة ومشكورة- لا تكاد تصل إلى عشر معشار هذا المبلغ [1].

ومن الأساليب المتّبعة أيضا لدى المنصّرين، تغلغلهم في البوادي والأرياف، غير مبالين بخطورة التعرض للأمراض والوباء، مع انعدام معظم مرافق الحياة العصرية. فيعيشون مع الفلاحين عيشتهم من غير أن يشعروهم بمهمتهم، لكن سرعان ما يتأثر بهم الأهالي وينتقل منهم كل ما يريدون نقله إلى هؤلاء الفلاحين وأسرهم انتقالا هادئا دون أيما ملاحظة أو انتباه[2].

ويدخل في هذا الإطار كذلك استغلال رقّة المرأة المسلمة وضعفها. حيث شاهدنا في الآونة الأخيرة ذهاب بعض المسلمات إلى الكنائس مع صديقة أو جارة نصرانية، طلباً للإنجاب، أو النصرة على عدو، أو الاستبراء مما نزل بهن أو بأولادهن من مرض، أو كساد تجارة، ونحو ذلك. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) انظر: التنصير في الأدبيات العربية ص٤٧

(٢) انظر: التبشير والاستشراق للطهطاوي ص٣٣- ٣٤ –بتصرف.

ومن الأساليب أيضا؛ إقامة ملاجئ لإيواء الأطفال الفقراء والأيتام. وذكر المنصّر المردوفلاس أنَّ ملاجئ كهذه أقيمت في الجزائر والمغرب في شمال أفريقيا، وأنها وإن لم تجعل الأطفال المسلمين نصارى، لكنها لم تبقهم مسلمين كآبائهم[١]. وفي الصومال وحدها قام منصّر بلجيكي بتبني ما يبلغ مجموعهم "٣٠٩٠٢" طفلاً من أطفال المسلمين[٢]، وهناك صندوق إغاثة الأطفال المنكوبين تعمل بنشاط في جمع أكبر عدد من الأطفال الصوماليين وتغريبهم إلى البلدان الأوروبية[٣]. ولا ينبغي أن ينسى ما حصل في السنغال المسلمة في أوائل هذا القرن الميلادي من إبرام البعثات التنصيرية عقودا مع الأسر الفقيرة، تقدّم بموجبها إلى هذه الأسر مساعدات عينية رمزية من أرز ونحوه شهرياً، على أن يكون للبعثة حق اختيار واحد من أطفال الأسرة المعنية دون الخامسة من العمر، تقوم بتربيته تربية نصرانية، ثم ترسله إلى فرنسا ليكمل تعليمه العالي، قبل أن يعاد إلى البلاد ليقوم بتنفيذ ما يرسم له من أهداف تنصيرية أو استعمارية[٤].

(١) انظر: التبشير والاستشراق للطهطاوي ص٢٤
(٢) انظر: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ص١٦
(٣) انظر: التنصير في القرن الأفريقي ص٨٢
(٤) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٣

ومما ينبغي التنبه له بحذرٍ شديدٍ من هذه الأساليب: استغلال الرخصة الشرعية في الزواج من الكتابيات التي ربما ادّعت بعضهن أنها أسلمت، أو أنها ستسلم بعد مدّة معيّنة من الزواج من الشاب المسلم. فهناك حالات كثيرة معروفة في نيجيريا وغيرها ترجع الزوجة بالأولاد إلى الكنائس إما بعد وفاة الزوج أو الطلاق. فرحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقد كان ينهى عن هذا الزواج أشد نهيٍّ، لما قد ينتج عنه من نتائج سلبية، منها: ترك المسلمات العفيفات بلا أزواج، وهنّ اللائي سيربّين الأجيال على التمسك بالإسلام. والأدهى من ذلك كله والأمرّ: زواج الشابات المسلمات من النصارى، حيث إن ذلك محرّم شرعاً. وهناك كنائس في ملاوي مثلاً تتبنى مشروع تزويج المسلمات من النصارى بإغراءات مالية، وينتج عن ذلك تنصير هؤلاء الزوجات، فنشأ في البلاد جيل جديد يعبد الصليب، وأجدادهم ممن يشهدون لله بالوحدانية وللنبي ﷺ بالرسالة، فلا حول ولا قوة إلا بالله[1].

***

(١) انظر: وجاء الدور على الإسلام ص٦٩

المبحث الرابع: في المجـــال الإعـــلامي

يعتبر الإعلام من الوسائل الحديثة القائمة على الاستفادة من التقدم الكبير في تقنية الاتصال والمعلومات، وهو من أمضى أسلحة التأثير في معتقدات الناس وسلوكياتهم، إن لم يكن أمضاها على الإطلاق.

يتم استغلال الإعلام بدرجة تفوق الوصف من قبل المنصّرين العاملين في مناطق مختلفة من القارة الإفريقية. فعلى سبيل المثال؛ ورد في دراسة أجريت في أكبر المدن النيجيرية وعاصمتها سابقا: "لاغوس" وشملت ثماني قنوات تلفزيونية حكومية وخاصة في المدينة، ورد فيها أن من بين خمسين برنامج دينية تقدَّم على هذه القنوات أسبوعيا، ستة فقط للمسلمين، والباقي للنصارى. مع أن نسبة المسلمين من سكان ولاية لاغوس هذه لا تقل عن ٧٠٪، و ٨٠٪ من النواب في برلمانها مسلمون، والحاكم كذلك مسلم(١) . والسبب أن البرامج الدينية في محطات الإذاعة أو قنوات التلفاز كلها أو جلّها تُعرض في الدول العلمانية، سواء في أفريقيا أو غيرها مقابلَ التمويل الخاص. فالبرامج الإسلامية قَلَّ أن تجد من يموّلها، وإن وُجد فربما لأغراض دعائية أو نحوها، بخلاف البرامج

---

(١) انظر: جريدة عكاظ السعودية ، العدد ١٢١٥١، الجمعة ١٤٢٠/٨/٢٥هـ. ١٩٩٩/١٢/٣م ص٧

التنصيرية التي عادة ما يتم رصد المبلغ الكافي لها من قبل المؤسسات المعنية أو الكنائس المختلفة. هذا إلى جانب محطات البث التنصيرية الخاصة، التي لا يقتصر إرسالها على الدولة المضيفة بل تغطي أجزاء شاسعة من القارة. ولا أعلم حتى الآن أن للمسلمين محطات مشابهة لا سيما في غرب أفريقيا ووسطها. في حين يتم توجيه البث الإذاعي التنصيري المتخصص بأكثر من سبع عشرة لغة أفريقية، منها صوت البشارة في أديس أبابا، ومنروفيا، وجنوب السودان، ونيجيريا، وغيرها. ويجري العمل على قدم وساق لإنشاء فروع في بقية أنحاء القارة[1]، إذ وجدوا أن الإذاعة -كما قالوا- من "الوسائل الرئيسة التي يمكن بواسطتها الوصول إلى المسلمين في بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا المغلقة[2]".

وما قيل عن الإذاعة ينطبق كذلك على الوسائل الإعلامية الأخرى، لا سيما مع انتشار القنوات الفضائية في هذا العصر، والشبكة المعلوماتية العالمية (الإنترنت). وقد حاولتُ جمع معلومات عن مواقع الإنترنت التي تخدم الأغراض التنصيرية إما مباشرة أو غير مباشرة فكانت النتيجة حصيلة هائلة ومرعبة، أشير إلى جملة منها في الأسطر الآتية.

---

(١) انظر: وجاء الدور على الإسلام لـ رضا العراقي ص٥٤

(٢) انظر: التنصير ص٥٣٢

م	اسم/عنوان الموقـــــع	لغته	حجمه	فكرة مختصرة عنه
١	www.thequran.com	العربية والإنجليزية	متوسط	موقع تنصيري يشرف عليه المدعو د. لبيب ميكائيل مصري الأصل أمريكي الجنسية. والموقع مليء بالافتراءات الجسيمة والشبه حول الإسلام وكتابه ونبيّه ﷺ. ويلاحظ أنّ الموقع يحمل اسم "القرآن" لمزيد من المكر والخداع.
٢	www.answering-islam.org	العربية والإنجليزية والصينية والهولندية والفرنسية والألمانية والإندوني، والملايو والروسية والتركية	كبير	هـذا الموقـع –في اعتقـادي– مـن أخطـر المواقـع التنصيرية وأكبرهـا حجماً. فالموقع كما هو واضح من اسمه أنشئ خصيصاً للرد على جميع ما يعتقده المسلمون عن دينهم مع إيراد شبه خطيرة في ذلك.
٣	www.hopeshineministry.com	العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية	كبير	تُنشر في هـذا الموقـع كتـب عـدّة وبلغات مختلفة في الطعن والتشكيك في عقيدة المسلمين، ومـن العناوين البارزة من هذه الكتب: الإتقان في تحريف القرآن، و الفرقان الحق (وهو عبارة عن صياغة لنصوص عربية على شكل السورة القرآنية، وقد أطلقوا على هذا الكتاب الخطير: قرآن القرن الواحد والعشرين).

٤	www.jcsm.org/biblelessons/Thekoran.htm	الإنجليزية	صغير	يتبع الموقع إرسالية تنصيرية في سان دياغو بالولايات المتحدة الأمريكية، ويتخصص في إيثار الشبه لا سيما حول القرآن الكريم.
٥	www.bible-koran.com	الإنجليزية والألمانية	صغير	هذا الموقع من وضع أحد النصارى العرب، ويهدف إلى الدعوة إلى النصرانية من خلال التشكيك في مبادئ الإسلام وانتقاد بعض أحكامه، مع إيراد اعترافات مزيّفة من أناس يزعمون أنهم كانوا مسلمين فتنصّروا.
٦	www.robirad.demon.co.uk/Quran.htm	الإنجليزية	صغير	يعرض الموقع أقوالاً للمنصّرين المعروفين، أمثال أنيس شروش (الفلسطيني الأصل)، وغيرهم في الطعن والتشكيك في الإسلام، وفي القرآن الكريم خاصة.
٧	www.secularism.org/research	الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، والبرتغالية والإسبانية	متوسط	يتخصص الموقع في عرض كتب ومقالات المرتدّين أمثال المدعو ابن الورّاق، نحو "لما ذا تركتُ الإسلام"، "أصول القرآن"، وغير ذلك. ومن الأهداف المعلنة لأصحاب هذا الموقع: نشر الإلحاد والعلمانية (اللادينية) في المجتمعات الإسلامية.
٨	www.islam-١٠١.org	العربية والإنجليزية	صغير	يتبع هذا الموقع أسلوب التحريف والتأويل التعسفي لآيات القرآن الكريم، بما يخدم الأهداف التنصيرية.
٩	www.blessedcause.org/index.htm	الإنجليزية	متوسط	يزعم أصحاب هذا الموقع أن هدفه محاربة الفساد في المدارس العامة في أمريكا، لكن الحقيقة أنه موقع تنصيري ومعادٍ للإسلام. ومن الموضوعات البارزة فيه: ما ذا في القرآن، الإسلام الإرهابي، يرحم

				الله من يرحم إسرائيل ... إلخ
١٠	www.geocities.com/aboutchristianity/samarkand	العربية والإنجليزية	متوسط	موقع تنصيري يهدف إلى تشكيك المسلمين في أهم ما عندهم وهو القرآن الكريم. ويعرض الموقع كتباً كثيرة في هذا المجال، منها كتاب: هل القرآن معصوم؟ للمدعو: عبد الله عبد الفادي. وهو موقع شديد الخطورة، لا سيما في جانب ما يبثه من الشبه والمغالاطات. ومثله موقع آخر بعنوان: www.koranexposed.tripod.com

***

المبحث الخامس: في المجال السياسي

الصلة بين السياسة والتنصير على الصعيد الأفريقي تأتي تبعاً لما تقدمت الإشارة إليه من علاقة الاستعمار بالتنصير[1].

فمما يؤخذ على الدول الاستعمارية في أفريقيا عموما: تمهيدها لسيطرة النصارى من المواطنين -عقب خروجها- على أهم جوانب الحياة العامة، وعلى وجه خاص الجانب السياسي[2]. ولهذا ترى أن معظم الدول الأفريقية ذات الأغلبية المسلمة لا تزال أزمة أمورها سياسيا واقتصاديا وعسكريا وتعليميا بأيدي الأقلية النصرانية ذات التوجه الغربي النصراني. وساهم ذلك في تقدم التنصير ونجاحه في هذه الأقطار، كما يقول المنصّر كنيث لاتورت (Kenneth S. Latourette): ((ولكن يجب أن نذكر على كل حال أنه لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية في قطر ما إلا بعد أن تبدّل ذلك القطر بحكومته الإسلامية حكومةً غربية مسيحية[3])).

ويعلل المنصّر جيرالد سوانك ذلك بقوله متهكماً : ((إن النصارى في العادة هم الذين قد تحركوا إلى الأمام بصورة

(١) انظر: ص١٧

(٢) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٤، ١٤٤- ١٦٥، و مجلة المجاهد، العدد ٤٩ رمضان ١٤١٤هـ ص١١

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص١٤٧

أسرع، وهذا يعطيهم الأفضلية على الصفوة المسلمة التي تلقت فقط تعليما تقليدياً في اللغة العربية والقرآن[1])).

ومن الواضح كل الوضوح أن هذا المخطط يخدم الهدف الاستعماري بقدر خدمته للهدف التنصيري، إذ كما يقول "كرومز" –الرجل الذي يوصف بأنه واضع أسس السياسة التي جرى عليها الاحتلال الإنجليزي في مصر، والسودان، والصومال[2] –: ((الإسلام بطبيعة تعاليمه عدو للحضارة الأوروبية، وإن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوروبيين لا يقوى على حكم البلاد[3])).

وهنا كلمة لا بد منها، وهي أننا لا ننكر أن الآلاف من أبناء المسلمين في أفريقيا قد درسوا كذلك العلوم الدنيوية المختلفة على أيدي المستعمرين أو في مؤسساتهم التعليمية، وربما أفادوا أمتهم ماديا. إلا أنهم في واقع الأمر، وفي الكثير الغالب تجدهم أنفسهم أدواتٍ بأيدي القوى الاستعمارية، استخدمتها في تحويل مسار بلدانهم وطمس هويتها الإسلامية، ومن ثم سقوطها في براثن الغزو الفكري والتنصيري، والله المستعان[4].

ومظهر آخر من مظاهر التأثير السياسي للمنصّرين في أفريقيا هو: البعثات الدبلوماسية. حيث يتم تدريب بعض العاملين في

---

(١) التنصير ص٣٣٩
(٢) انظر: التنصير في القرن الأفريقي ص٩٩
(٣) المرجع نفسه ص٩٩
(٤) انظر: التنصير في القرن الأفريقي ص١١٦

هذه البعثات من سفارة، أو قنصلية، أو ملحقية، يتم تدريبهم على التنصير قبل انخراطهم في السلك الدبلوماسي. ونذكر مثالاً على هذا قصة القنصل البريطاني في زنجبار "جون كرك" الذي طلب عام ١٨٧٧م من الأمين العام لجمعية الكنيسة التنصيرية "هنري رايت" سرعة إرسال المنصرين، وذلك للوقوف في وجه ما أسماه بالامتداد المصري التركي[١].

وأخيرا - وليس آخراً - نذكر قضية التأثير على الحكومات فيما يخدم مصالح النصارى ويضر بمصالح المسلمين. وأقرب مثال على هذا نجاح نصارى نيجيريا -ذات الأغلبية المسلمة- في منع الدولة من الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي عضوا كامل العضوية، وظلت عضويتها لفترة طويلة على مستوى مراقب[٢]. وقد ورد في تقرير لدائرة تنصير الشعوب ومقرها في الفاتيكان، أن هذا الامتناع إنما هو من نتائج الحركة التنصيرية النشطة في البلاد[٣]. ولقد تساءل جيرالد سوانك في بحثه المقدّم لمؤتمر كولورادو التنصيري قائلا: ((ما

(١) انظر: التنصير في الأدبيات العربية ص٤٣- ٤٤

(٢) اكتسبت نيجيريا أخيراً العضوية الكاملة في المنظّمة، إلاّ أنّ الملاحظ أنّها ليس لها تمثيل حقيقي في نشاطات المنظّمة إلى الآن (عام ٢٠٠٧م). حتى مؤتمرات القمة التي يحضرها رؤساء دول المنظّمة تجد أنّ نيجيريا لا تحضر أو تحضر بوفد ذي تمثيل متدنٍ جداً، يرأسه سفيرٌ أو نائبٌ للسفير!

(٣) انظر: دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي لـ عبد الودود شلبي ص٨٤، ٨٣

التغييرات التي تحدث عندما يكون هنالك عدد من النصارى في مناصب حكومية؟))، ثم أضاف: ((وعلى سبيل المثال فإن تأثير النصارى في وسط نيجيريا ذو أهمية استراتيجية حيث يوجد عدة مفوضين نصارى وآخرون كانوا في مناصب تؤثر في صنع القرارات[١])).

بل إنّهم (نصارى نيجيريا) قد فعلوا ما هو أعظم من هذا، أليسوا قد أعلنوا في الانقلاب العسكري الفاشل عام ١٩٩٢م فصل جميع الولايات ذات الأغلبية المسلمة عن الدولة؟. وهناك الاتحاد النصراني النيجيري (CAN) –الناطق الرسمي لنصارى نيجيريا– يمارس ضغوطا وتأثيرا واضحين على كل نصراني يتولى منصباً من مناصب الدولة. يقول أحد أعضاء هذا الاتحاد –وهو حاكم سابق لإحدى الولايات ووزير فيدرالي في الحكومة عام ١٩٩٩م– : ((لن نوقف المعركة الفكرية، ولن تنام سيوفنا في أيدينا، حتى نبني أورشليم (القدس) على أرض نيجيريا هذه، بلدنا الحبيب[٢])). وما تفعله الكنيسة والقوى العالمية المساندة لها اليوم في جنوب السودان ليعيد إلى الأذهان ما فعلته بالأمس القريب في الحرب الأهلية النيجيرية أوائل السبعينات الميلادية.

---

(١) التنصير ص٣٣٩

(٢) مجلة المجاهد، العدد التاسع والأربعون، رمضان ١٤١٤هـ/مارس ١٩٩٤م ص٨- ٩

أبيض

الفصل الرابـع :

الجهات التي تدعـم التنصير في أفريقيـا

من البدهي أن ندرك أنَّ كل نصراني، أياً كان موقعه يعتبر داعماً ومؤيدا للهجمات التنصيرية التي تغزو العالم الإسلامي عموماً، وأفريقيا بصفةٍ خاصة، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (المائدة: من الآية٥١). لكن المقصود في هذا الفصل تحديد الهيئات والمنظمات ذات العلاقة المباشرة بالمشاريع التنصيرية في القارة الأفريقية، تخطيطاً أو تنفيذاً أو تمويلاً.

أ) الكنيسة الكاثوليكية وباباواتها

فمنذ أن عقدت الكنيسة مؤتمرها الأفريقي الأول للمنصّرين الكاثوليك في أوغندا عام ١٩٥٣م، تتوالى الهجمات التنصيرية الكاثوليكية المنظمة على القارة، إلى أن تحوَّلتْ آخرَ الأمر إلى تحدٍ صريحٍ أطلقه البابا يوحنا بولس الثاني[١] بوجوب تحويل القارة الأفريقية إلى قارة نصرانية عام ٢٠٠٠م، وسنلقي مزيدًا من الضوء على هذا الأمر في فصل لاحق إن شاء الله.

ومعلوم أن للكنيسة الكاثوليكية هيئة تسمى بـ"**بالبربجاندافيد**" في الإدارة البابوية بالفاتيكان، أنشأها

(١) هو البابا الرابع والستون بعد المائتين في سلسلة البابوات الكاثوليكية، وقد انتخب عام ١٩٧٨م، وتوفي عام ٢٠٠٥م. (الموسوعة العربية العالمية ٤/٦-٧)

البابا جريجوري الخامس عشر عام ١٩٢٢م، وهي الجهة الرسمية المشرفة على النشاط التنصيري الكاثوليكي المنظَّم في جميع أنحاء المعمورة[١].

ومن الهيئات الكاثوليكية الفرعية التي عملت أو لا تزال تعمل في أفريقيا ما يلي:

١- **الجمعية الإفريقية التنصيرية بفيرونا** (The African Mission of Verona). عملت في السودان ومصر منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ولها مراكز لتدريب المنصّرين في إيطاليا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، والبرازيل، وأثيوبيا، وغيرها[٢].

٢- **جمعية القديس يوسف للإرساليات التنصيرية الخارجية** (St. Joseph Foreign Missions society) ومقر إدارتها في (Mill Hill) بضواحي لندن. وهي تعمل في جنوب السودان منذ عام ١٩٣٨م[٣].

٣- **جمعية الآباء البيض** (The White Fathers). وتعد من الجهات الكاثوليكية المهمة التي قامت بنشاط واسع النطاق في بلدان القرن الأفريقي مثل كينيا، وأوغندا، والصومال، وجيبوتي، وأريتريا، وفي شمال أفريقيا مثل السودان. تم

(١) انظر: التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ص٢٣- ٢٤

(٢) انظر: التبشير النصراني في جنوب سودان ص٢٧- ٢٨

(٣) المرجع نفسه ص٢٨

تأسيسها على يد الأسقف الفرنسي لافيجرى (Lavigerie) في الجزائر عام ١٨٦٨م[١].

وهناك منظمات خيرية غربية تقوم بجمع الأموال اللازمة لتسيير المشاريع التنصيرية في القارة منذ مطلع القرن التاسع عشر، منها على سبيل المثال: جمعية ليون لنشر العقيدة (Lyons Society of the propagation to the faith)، ومنظمة الطفولة المقدسة (The Holy Childhood Association)، وجمعية القديس بطرس(The Society of St. Peter)[٢].

ب- الكنيسة البروتستانتية ورجالاتها

لقد ذكرت فيما مضى (عند الحديث عن مراحل التنصير وتطوره) نشاطَ هذه الطائفة في عقد المؤتمرات التنصيرية الأفريقية، وتشكيل اللجان للمتابعة والإشراف على الأعمال التنصيرية هناك. أما الهيئات البروتستانتية التنصيرية التي عملت أو ما تزال تعمل في القارة الأفريقية، فمن أهمها ما يلي:

١- **جمعية التنصير الكنسية لأفريقيا والشرق** (CMS For Africa And The East). وهي جمعية بريطانية تكوّنت في لندن عام ١٧٩٩م، وتوصف بأنها أهم جمعية تنصيرية بروتستانتية على الإطلاق.

---

(١) انظر: التنصير في القرن الأفريقي ص٧٠، و ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ص١٦٢

(٢) انظر: التبشير النصراني في جنوب سودان ص٢٩

ترتبط الجمعية رسمياً بكنيسة المملكة المتحدة، حيث تحظى برعاية الأسرة المالكة وأساقفة كنيسة كانتربري، وبلغ مجموع ميزانية نشاطها التنصيري في أفريقيا عام ١٩١٠م وحده: "٢١٥٢١" جنيهاً استرالينيا لإفريقية الشرقية، و"٣٣٠٤٨" جنيهاً لإفريقية الغربية، و"٦٢٣٤" جنيهاً لمصر والسودان[١].

٢- **إرسالية السودان المتحدة** (The Sudan United Mission). وقد تكونت أيضا في بريطانيا عام ١٩٠٤م، وبدأ نشاطها التنصيري في جمهورية السودان عام ١٩١٣م، ولها نشاط كبير في كل من نيجيريا، والكاميرون، وتشاد، وجنوب أفريقيا[٢].

٣- **إرسالية أفريقيا الداخلية** (The African Inland Mission). أنشأها رجل يدعى بترس كامرون اسكوت (Peter C. Scott)، ومقر إدارتها في تورونتو بكندا. بدأت نشاطها التنصيري في كينيا، قبل أن يمتد إلى أوغندا والكونغو[٣].

٤- **إرسالية السودان الداخلية** (The Sudan Interior Mission). ويعود تاريخ إنشائها إلى عام ١٨٩٣م للعمل في الإقليم السوداني. وكان لها نشاط كبير في نيجيريا، وكذلك في

---

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي ص١٢٣- ١٢٤، و التبشير النصراني في جنوب سودان ص٣٣

(٢) التبشير النصراني في جنوب سودان ص٣٣- ٣٤

(٣) نفسه ص٣٤

أثيوبيا في ما بين عامي ١٩٢٨م و ١٩٣٥م، أي قبل غزو إيطاليا لها[١].

٥- الإرسالية الأمريكية التابعة لمجلس إرساليات الكنيسة المشيخية بشمال أمريكا (The Board of Missions of the Presbyterian Church, N.A). بدأت نشاطها التنصيري في مصر عام ١٨٥٤م، ثم امتد إلى السودان بعد ذلك[٢].

٦- الجمعية التنصيرية الميثودية (The Methodist Mission Society). أنشئت في القرن التاسع عشر، ولها نشاط واسع في دول شرق أفريقيا وغربها[٣].

٧- جمعية الكتاب المقدس البريطانية والخارجية (British & Foreign Bible Society). وهي منظمة مساعدة للإرساليات التنصيرية، أنشئت عام ١٨٠٤م، وتنحصر مهامها في طبع وترجمة وتوزيع كتابهم المقدس بمختلف لغات العالم، ولها نشاط ملموس في جميع قارات العالم حتى اليوم[٤] . ومثلها جمعية الكتاب المقدس الأمريكية (The American Bible Society) التي تكونت عام ١٨١٦م، ولها فرع في القاهرة اسمها: دار مطبعة النيل (The Nile Mission Press)، كما

---

(١) نفسه ص٣٤

(٢) نفسه ص٣٥

(٣) انظر: التنصير في القرن الأفريقي ص٧٠

(٤) التبشير النصراني في جنوب سودان ص٣٥

فَتَحت منذ عام ١٩٢٧م مكتبةً في الخرطوم لبيع الكتب والمنشورات النصرانية[١].

ج- مجلس الكنائس العالمي (World Council of Churches)

منظّمة عالمية تأسست عامَ ١٩٤٨م لتكون مظلةً تجتمع تحتها كل الكنائس التي تؤمن بالمسيح ربًّا ومخلصا، وتضم أعضاءً بروتستانتية وأرثودوكسية[٢]. لهذا المجلس هيئة سماها: "هيئة مجلس الكنائس للإسهام في أعمال التنمية"، وقد اختارت الهيئة عدة دول في أفريقيا وآسيا، اعتبرتها مناطقَ نموذجية لمشروعات مجلس الكنائس الإنمائية للتنصير[٣].

د- الجمعيات الطبية التنصيرية.

ومنها: جمعية التنصير الطبية العالمية بنيويورك (IMMS)، وجمعية التنصير الطبية بأدنبرة، في المملكة المتّحدة (Medical Missionary Society)[٤].

***

(١) نفسه ص٣٦

(٢) Encyclopaedia Britannica CD

(٣) انظر: التنصير في القرن الأفريقي ص٨٦، و وجاء الدور على الإسلام ص٣٩

(٤) انظر: التبشير النصراني في جنوب سودان ص١٦٣

الفصل الخامس:

مراكز التنصير ومؤسساته في القارة الأفريقية

تعتبر مراكز التنصير ومؤسساته الجهة المنفّذة لسياسات ومخططات التنصير التي غالبا ما ترسمها الهيئات الداعمة والمموّلة. وهذا يعني أن خطورتها لا تقل بأي حال من الأحوال عن خطورة الجهات الداعمة نفسها، بل تفوقها بمراحل؛ فالدعم مهما بلغ حجمه فإنه بلا شك يحتاج إلى مستثمر يعرف الطريقة المثلى لتوظيف هذا الدعم كي يعطي ثماره. ومن أهم هذه المراكز في القارة الأفريقية ما يلي:

١- مركز الاتصالات والدراسات المتقدمة لإرساليات التنصير (البروتستانتية).

يقوم هذا المركز بإعداد دراسات وإحصائيات دقيقة عن أوضاع التنصير في المناطق المختلفة من القارة، ومدى نجاحه أو فشله، وأسباب ذلك، وكذلك عن أوضاع الإسلام والمسلمين ومدى الارتفاع أو الانخفاض في نسبهم المئوية من السكان ... الخ[1].

٢- كنيسة إفريقيا الداخلية في شرق أفريقيا، والكنائس الأنجليكانية لغرب أفريقيا. فقد ورد الثناء على هاتين

---

(١) انظر: التنصير ص٣٣٦- ٣٣٧، ٣٤٢

المؤسستين في مؤتمر كولورادو التنصيري بسبب جهودهما الملموسة في تنصير المسلمين[1].

٣- **دار النشر التنصيري/ الإنجيلي بكينيا** (Evangel Publishing House)[2].

٤- **الجامعة الأمريكية في القاهرة**[3].

٥- **جامعة دايستار في نيروبي**[4].

٦- **كلية فورابي في سيراليون.** حيث ظلت لفترة طويلة المدة الرئيسة لنيجيريا وغيرها بالمنصّرين المتخرجين فيها[5]. وبعد أن تحولت إلى جامعة وطنية علمانية تحت اسم "جامعة فورابي" عمد المنصّرون إلى إنشاء كليات للمعلمين في المنطقة نفسها وتقوم بما كانت كلية فورابي تقوم بها من الأدوار حتى اليوم.

٧- **الاتّحادات أو الجمعيات النصرانية الوطنية؛** ومن أقواها نفوذاً الجمعية النصرانية النيجيرية (Christian Association of Nigeria).

٨- **المدارس والمعاهد التنصيرية/ النصرانية المنتشرة في جميع أنحاء القارة الأفريقية.**

---

(١) نفسه ص٣٤٦

(٢) نفسه ص٣٤٧

(٣) انظر: قوى الشر المتحالفة ص٩٧ ، والموسوعة الميسرة في الأديان ... ص١٦٥

(٤) انظر: وجاء الدور على الإسلام ص١٨

(٥) انظر: موجز تاريخ نيجيريا للإلوري ص٨٨

٩- الكنائس بمختلف اتجاهاتها.
١٠- منظمات الطلبة النصارى في الجامعات والمعاهد العليا.
١١- محطات الإذاعات وقنوات التلفاز التنصيرية.
١٢- المستشفيات النصرانية والمراكز الصحيّة التابعة لها.

***

أبيض

الباب الثاني:
المسلمون والحركة التنصيرية في القارة الأفريقية

وفيه فصول :

الفصل الأول: دعوى النصارى تحوّل أفريقيا إلى النصرانية عام ٢٠٠٠م؛ حقيقة أم خيال؟ .

الفصل الثاني: نتائج التنصير في أفريقيا حتى عام ٢٠٠٠م .

الفصل الثالث: أسباب نجاح التنصير في أوساط مسلمي أفريقيا .

الفصل الرابع: مقترحات وحلول لمواجهة التنصير في المستقبل .

أبيض

الفصل الأول:
دعوى النصارى تحول أفريقيا إلى النصرانية عام ٢٠٠٠م؛ حقيقة أم خيال؟

مما لا يسوغ إنكاره، لوضوحه كضوء الشمس في منتصف النهار، أن المنصّرين ركزوا هجماتهم وحملاتهم على القارة الأفريقية، وأن صولاتهم وجولاتهم في ربوعها أكثر منها في غيرها من قارات العالم. فهذا البروفيسور بروز لورانس ، وهو نصراني، يقول: ((هناك عدد لا بأس به من المنصّرين الأمريكان يخرجون من الولايات المتحدة إلى أفريقيا وهم على درجة عالية من التدريب والتأهيل **بهدف واحد هو إحلال النصرانية في أفريقيا وإخراج الإسلام منها**.والمنصّرون هؤلاء يتصورون معركة بين الإسلام والنصرانية على حساب أفريقيا)). وأضاف يقول بأن هؤلاء المنصّرين يرفعون شعار: "**الصليب من كيب تاون إلى القاهرة** (The Cross from Cape Town to Cairo)"[1]. وقال أيضا: ((وهم يستهدفون أفريقيا بشكل كبير ويقولون **إن المعركة الكبرى بين الإسلام والمسيحية**

(١) جريدة المدينة –السعودية- ، العدد ١٣٣٧٢، ٢١/شعبان/١٤٢٠هـ ٢٩/١١/١٩٩٩م، ص١٥

ستكون على الحلبة الأفريقية وأن القارة السوداء هي الجائزة الكبرى[1])). ويكفي أن نعلم أن من بين ٢٢٠ ألف منصّر ومنصّرة حول العالم، يعمل ١١٩ ألف منهم في أفريقيا وحدها[2] (أي أكثر من ٥٠٪). وأن ٣٥٪ من مجموع المنصّرين البروتستانتيين في العالم يعملون في أفريقيا وحدها[3]، بل أوصوا في مؤتمر كولورادو التنصيري عام ١٩٧٨م بزيادة عدد المنصّرين في شمال أفريقيا من "٦٠" إلى "٣٠٠" حدًّا أدنى![4].

أما بخصوص دعوى التحوّل عام ٢٠٠٠م، فقد رسم الفاتيكانُ خططَها، بل ويشرف البابا نفسه على تنفيذ الخطط، ويتابع مدى نجاحها[5]. وتم تخصيص مبلغ ثلاثة مليارات دولار، وتوظيف ١٥٠ ألف منصر للقيام بهذه المهمة[6]. أضف إلى ذلك أنَّ زيارات البابا يوحنا بولس الثاني للقارة الأفريقية أكثر منها لأي قارةٍ أخرى[7]، حيث وصل المعدَّل إلى ثلاث زيارات قام بها خلال خمس سنوات فقط (١٩٨٠-١٩٨٥)،

---

(١) المرجع نفسه، وانظر كذلك: الغارة على العالم الإسلامي ص٢٦
(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص١٦٨
(٣) انظر: حقيقة التبشير لأحمد عبد الوهاب ص١٣٠، و مأساتنا في أفريقيا لعماد الدين خليل ص٨١
(٤) انظر: التنصير ص٣٦٣
(٥) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص٨٣
(٦) انظر: وجاء الدور على الإسلام ص١٥- ١٦
(٧) المرجع نفسه ص٦٠

زار خلالها أكثر من عشرين دولة أفريقية، لم يستثن منها دولةً مثل السنغال التي لا تتجاوز نسبة النصارى فيها ٣٪ ، وعلى العكس جعلها أولى محطاته في إحدى هذه الزيارات[١]! ويقول أحد المتحدّثين باسم الفاتيكان: جوسكين نفارو والز: ((إن أفريقيا –شأنها شأن أمريكا اللاتينية– هي (خزان) للكاثوليكية في المستقبل[٢])).

وقفة مع هذه الدعوى:

من الخطأ وسوء التقدير أن نظن بأن البابا حين أعلن أن أفريقيا ستصبح قارة نصرانية في عام ٢٠٠٠م كان يقصد أن يصبح كل فرد في القارة نصرانياً، إذ لم يحصل هذا حتى في موطن النصرانية ومركز قوتها في أوروبا وأمريكا. ولكن الرجل وهو يعلن هذا التحدي السافر كان يدرك تماماً ما تحت تصرفه وتصرف الهيئات التنصيرية الأخرى من الإمكانات المادية الهائلة، وغيرها من وسائل الضغط والتأثير، وقلب موازين القوة والنفوذ في هذا العالم المعاصر الكثير التقلبات، وقد أشرنا إلى جملةٍ منها في هذا البحث[٣].

(١) المرجع نفسه ٥٨- ٥٩ ، و دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي ص١٤

(٢) دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية ... ص١٥

(٣) انظر: ص ٢٢- ٣٨

وفوق هذا وذاك، فقد كان الرجل على علم يقيني بما يعيشه كثير من الأفارقة ويعانون منه، من فقر، ومرض، وجوع، وجهل، وعدم استقرار سياسي أو اقتصادي، وما هنالك من الأوضاع التي يمكن استغلالها بسهولةٍ، وجني ثمار وأرباح طائلة كلها تصب في مصلحة النصرانية والتنصير. وأخيراً، كان البابا يدرك أكثر منا حقيقة التنصير ومقصوده خاصة إذا كان بين المسلمين أي -كما تقدمت الإشارة إليه- زعزعة العقائد والانسلاخ عن الدين، من غير ضرورة حمل الصليب أو تناول العشاء الرباني بين جدران الكنائس. فما مدى نجاح البابا ورفاقه أو فشلهم في هذه الحملة؟

أرى أنَّ الجواب عن هذا يجب أن ينبني -بناء على ما تقدم قبل قليل- على النتائج المتحققة إلى حد الآن. وهذا ما سنتناوله إن شاء الله في الفصل التالي:

الفصـل الثـــاني :

نتائج التنصير في أفريقيا حتى عام ٢٠٠٠م

إنَّ الترتيب المنطقي لهذا الفصل يتطلب أنَّه قد سبقه فصل آخر يبحث في أهداف التنصير في أفريقيا، ليكون ذلك مقياساً لما تحقق ولم يتحقق من هذه الأهداف، إذ إن هذا بعينه ما نعنيه بالنتائج. لذا، أرى ألاّ مندوحة من الإشارة –ولو بإيجاز– إلى أهم ما يستهدفه المنصرون في هجماتهم على هذه القارة المسلمة، ومنها[(١)] :

١) الوقوف في وجه انتشار الإسلام، وذلك بحماية النصارى من الإسلام أو الحيلولة دون دخولهم فيه، ومنع غير المسلمين من الوثنيين ونحوهم كذلك من اعتناق هذا الدين.

٢) إخراج المسلمين عن دينهم كليا، أو جزئياً عن طريق هدم الإسلام في قلوبهم وحياتهم، بالتشكيك والطعن في مبادئه، وربطه بالتخلف والإرهاب، والهمجية ... الخ.

٣) التغريب والدعوة إلى تبني أنماط الحياة الغربية النصرانية في كل شيء.

---

(١) انظر: التنصير في الأدبيات العربية ص٣٤- ٣٦، و التبشير والاستشراق للطهطاوي ص٤- ٦، و التبشير وأثره للبساطي ص٢٢٦- ٢٢٧، و احذروا الأساليب الحديثة ... ص٥٣- ٦٠، و حقيقة التبشير ص١٦٠- ١٦٢

٤) إدخال المسلمين في النصرانية، وهذا لا يهتم به من المنصّرين إلا أولئك القلائل الذين ينطلقون من منطلق ديني بحت، يرون في دينِهم الخلاصَ للبشرية من مشكلاتها. وهم الذين إذا ما وجدوا البديل الحقّ تركوا التنصير وحتى النصرانية ذاتها فيسلمون.

ولنشرع الآن في استعراض نتائج التنصير في أفريقيا وما تحقق حتى عام ٢٠٠٠م، وذلك في النقاط الآتية:-

أ- تمت ترجمة الكتاب المقدس أو أجزاء منها إلى أكثر من ٦٠٠ لغة أو لهجة أفريقية. كما تم أيضا إنجاز ترجمات له بطريقة "برايل" للمكفوفين خاصةً، وتم توزيعها في بعض الدول الأفريقية، منها: نيجيريا وأثيوبيا[١] . وأُقرّ مشروع منذ أواخر السبعينات من القرن الميلادي العشرين، لترجمة الكتاب إلى ٣٥ من اللغات التي يتحدث بها مسلمو نيجيريا فقط، ويجري تنفيذ المشروع حتى الآن[٢].

ب- يتم البث الإذاعي المتخصص في التنصير بأكثر من ١٧ لغة أفريقية[٣]، وقوة إرسال هذه المحطات أكبر حتى من إرسال كثيرٍ من المحطات الوطنية الرسمية.

---

(١) انظر: وجاء الدور على الإسلام ص٥٣

(٢) انظر: التنصير (مؤتمر كولورادو عام ١٩٧٨م) ص٥١٨

(٣) انظر: وجاء الدور على الإسلام ص٥٤

ج- كان عدد النصارى في أفريقيا كلها في بداية القرن الميلادي المنصرم لا يتجاوز مليون نصراني، وقد بلغ عددهم في الثمانينات من القرن نفسه ٨٥ مليون نصراني؛ أي بمعدل زيادة مليون نسمة سنوياً[1]!

د- توجد الآن على أرض دولة أفريقية ذات أغلبية مسلمة – وهي ساحل العاج- الكاتدرائية الكاثوليكية، التي بلغت تكلفة إنشائها عشرات الملايين من الدولارات، وجاء البابا نفسه لافتتاحها تأكيداً لأهميتها[2].

هـ- يمكن للبابا الآن زيارة أي دولة أفريقية يرغب في زيارتها، بل ربما تسابقت بعض هذه الدول إلى دعوتها للزيارة. بينما في السابق كانت الزيارات كهذه تجابَه بمقاومة شديدة من قبل المسلمين، وتؤدي في الغالب إلى إلغائها[3].

و- جاء في تقرير عُرض في مؤتمر كولورادو التنصيري عام ١٩٧٨م أن من بين ٢١٣ قبيلة أفريقية مسلمة، تم تنصير ٥٧ مليون شخص حتى منتصف عام ١٩٧٢م. وأن ثمة ٢٩ مليون شخص آخر في ٢٣٦ قبيلة أفريقية غير مسلمة تعيش في مناطق حدودية لم يتم تنصيرهم بعد، وأن العمل جارٍ للوصول

---

(١) المرجع نفسه ص٥٦ ، و احذروا الأساليب الحديثة ... ص٨٣

(٢) انظر: دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية ص١٥

(٣) انظر: وجاء الدور على الإسلام ص٦٤

إلى هؤلاء خلال ربع قرنٍ من ذلك الوقت. وأما عدد من تم تنصيرهم من هؤلاء فيقدر بـ ١٨ مليون شخص، وأن "النصرانية تحقق الآن نجاحاً في التنصير في وسط أصحاب الديانات التقليدية بصورة أكبر من الإسلام"[١].

ز- كما جاء في التقرير نفسه أن المد الإسلامي في أفريقيا الذي يتقدم جنوباً بشكل مطّرد منذ القرن السادس الميلادي، تم إيقافه تمامًا منذ عام ١٩٥٠م نتيجةً للعمل التنصيري المكثّف في جميع أرجاء المنطقة الوسطى والجنوبية من القارة، وأنَّ نمو النصرانية في أفريقيا من ذلك الحين بات أسرع من نمو الإسلام فيها بمعدَّل ٦٪ سنوياً[٢].

ح- تفيد مصادر الفاتيكان بأن الكنيسة الكاثوليكية تكسب في كل سنة مليوني أفريقي، وأنها تسعى لأن يصل عددهم إلى مائة مليون نصراني كاثوليكي بحلول عام ٢٠٠٠م[٣].

وأودّ أن أقول هنا إننا بإيراد هذه الأرقام لا نريد زرع اليأس في قلوب الدعاة المسلمين، وإنما الهدف جلب انتباههم

(١) انظر: التنصير ص٣٣٢، ٣٣٠

(٢) المرجع نفسه ص٣٣٠

(٣) انظر: دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية ص١٥، و وجاء الدور على الإسلام ص٥٢

للخطر الموجود والقادم، ليأخذوا حذرهم ويعدوا العدة كما أمرنا ربنا ﷻ بذلك.

ولعل مما يشجّع على القيام بالواجب تجاه هؤلاء المحاصرين بالجيوش التنصيرية، أن ندرك أن معظمهم وإن أعلنوا تنصّرهم، إلاّ أنّهم باقون على فطرتهم التي فطرهم الله عليها، والتي تجعلهم –بعد توفيق من الله– يميزون بين الحق والباطل متى ما قدّم لهم هذا الحق بالأسلوب اللائق، مع الاستفادة من الوسائل الحديثة التي لا تتعارض مع الشرع. فها هم هؤلاء المنصّرون أنفسهم يعترفون بهذه الحقيقة فيقولون عن أوضاع المنصَّرين الأفارقة: ((ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن النسبة المئوية الواردة في العمود لا تعني بالضرورة أنهم مؤمنون إنجيليون، لأنه استناداً إلى إحدى التقديرات فإن ٢٠٪ فقط من الذين يعلنون نصرانيتهم يمكن اعتبارهم نصارى ملتزمين[1])).

ط– استمرار سيطرة النصارى على مقاليد الحكم والإدارة في دول إفريقية بها أغلبية مسلمة أو لا تقل نسبة المسلمين فيها عن ٥٠٪ .

---

(١) التنصير ص٣٢٧- ٣٢٨

ي- أما بخصوص ما تردد على ألسنة قادة التنصير من وجوب إخراج المسلم عن دينه دون ضرورة إدخاله في النصرانية ليبقى كما قالوا: ((ليس له من الإسلام إلا اسم[1]))، فلنا أن نستعرض حالات الكثير من أبناء المسلمين اليوم، وبخاصة الأفارقة، رجالاً ونساءً، لنرى هل هم كما خطط لهم أعداؤهم أم لا؟ شعبٌ "لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلّم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء[2]". ويؤسفني كل الأسف أنَّ الجواب بالإيجاب المؤكّد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

***

---

(١) انظر: ما تقدم في ص ٤- ٥

(٢) جزء من خطاب المنصّر صموئيل زويمر في مؤتمر القدس التنصيري . (انظر: تنصير المسلمين ص٢٢، و معاول الهدم والتدمير ص١٣٢، وحقيقة التبشير ص١٦١)

الفصـل الثـالث:
أسباب نجاح التنصير في أوساط مسلمي أفريقيا

إنَّ ما تحقق من إنجازات للحملة التنصيرية في القارة الأفريقية لها أسباب يمكن إجمالها –حسب رأيي المتواضع– في أربعة عناصر رئيسة، هي: المنصَّر– المنصِّر–الوسائل– المجتمع.

أولاً: المنَصَّر:– وهو هنا ذاك المسلم المسكين الذي وقع فريسة سهلة، ولقمة سائغة بأيدي الجيوش التنصيرية التي لا ترحم. ويمكن إرجاع سبب وقوع هؤلاء المنصَّرين الأفارقة في قفص التنصير إلى عدة أمور من أهمها:–

١- الجهل، ولا سيما في ما يتعلق بأمور الدين، فتجد ألوفاً مؤلَّفة من المسلمين اليوم لا يعرفون حتى تلك الأمور التي يطلق عليها علماؤنا في السابق "المعلوم من الدين بالضرورة". فكم من مسلم مولود في الإسلام، وقد شبّ فيه وشابَ وهو لا يستطيع قراءة القرآن، فضلاً عن إدراك ما فيه من المعاني وتدبرها. وقد وجد المنصِّرون الطريق السهل إلى هؤلاء بمجرد إقناعهم بأن دينه هذا –أي الإسلام– دين العرب ولا يمت إلى الأفارقة بصلة. وهناك قصص ووقائع كثيرة تشهد لما أقول ولكن المقام لا يقتضي الإطناب.

٢- سوء التربية من قبل الآباء وأولياء الأمور، الذين لا يهمهم من شؤون أولادهم وبناتهم سوى ما يتعلق بدنياهم. فعندما يخرج هؤلاء إلى المدارس أو الجامعات لا يجدون أي وازع أو مانع من الانخراط فيما يمارسه الصديق أو الصديقة من الطقوس، أو مرافقته إلى الكنيسة لقدّاس الليل، إلى أن يتم انسلاخه الكامل عن دين الأبوين.

٣- عدم المبالاة بخطورة الأمر، وما يتبع ذلك من التجاهل التام لكل صيحات التحذير وصفارات الإنذار من قبل المصلحين.

ثانيا: المنصِّر:- أوروبيا كان أو أمريكيا أو أفريقيا، ويعود سبب نجاحه على الساحة الأفريقية إلى أمورٍ، من أهمها:-

١) قوة الإعـــداد:

فتجد أن هؤلاء المنصِّرين على درجة عالية من التدريب، يعرفون كيفية الولوج من الباب الخلفي إذا انغلق الأمامي، وكيف يعثرون على الثغرات أو يوجدونها بأنفسهم ثم يستغلونها أتم الاستغلال[1] . ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن التنصير نفسه صار حقلاً أكاديمياً له تخصصات وأقسام علمية مختلفة. وأترك الحديث هنا لأستاذ جامعي أفريقي عايش الوضع ويدرك تفاصيله، فيقول: ((كليات الدعوة الإسلامية

---

(١) اقرأ ما جاء على لسان بعضهم ممن اشتركوا في مؤتمر كولورادو في كتاب التنصير ص٦٩١

في العالم الإسلامي عملت حقيقةً على تخريج عدد كبير من الدعاة، لكن هذه الكليات تعلّم الداعية كيف يخطب ويعظ. ولكن المنظمات الكنسية تعلّم المنصّر أو المبشّر كيف يتعامل مع الآلات الحديثة، كيف يداوي المرضى، وكيف يتعامل مع المجتمع الذي يعمل به وتعلّمه كيفية تنشيط المشروعات الزراعية وغيرها من الخدمات التي تحتاج إليها المجتمعات الأفريقية، فاستطاع أن يوفق بين رسالته في التنصير وتقديم هذه الخدمات[1])).

ولو كان الأمر مقتصراً على هؤلاء الدعاة خريجي الكليات الإسلامية لكان هيّناً، لأنهم مؤهلون علمياً على الأقل، والكمال لله تعالى وحده. لكن المتتبع لواقع الدعوة والدعاة في هذه القارة يرى أنَّ معظم من يتصدَّون للدعوة أو التعليم الإسلامي هم ممن لا أهلية لهم للقيام بذلك، علمياً وثقافياً، والأمثلة كثيرة جداً، والله المستعان.

٢) جودة العرض:

وهذا أيضا ذو صلة بما قبله، إذ تجد أن هؤلاء المنصِّرين – وقانا الله شرهم– خطباء مفوّهون من الطراز الأول. فهم كما وصف الله ﷻ المنافقين ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ**﴾ (المنافقون: من الآية٤).

(١) انظر: وجاء الدور على الإسلام ص٥٨؛ والكلام للدكتور الطيب زين العابدين، عميد المعهد العالي للدراسات الأفريقية والآسيوية في جامعة الخرطوم.

٣) **جذابة الأسلوب:**

ويكفي للدلالة على هذا أن أورد هنا القصة الآتية كما وردت بنصها في أحد بحوث مؤتمر كولورادو التنصيري عام ١٩٧٨م: ((لاحظ أحد المنصّرين أثناء حديثه عن المسيح إلى بعض المسافرين بالقطار **أن أحد المسلمين ويدعى "نسيم" يصغي إليه بقلب متفتح،** وعندما سأله عن سبب ذلك أجاب نسيم بتأثر شديد: منذ بضع سنين مررت أنا وصديق مسلم لي ببعض الراهبات الكاثوليكيات وقد مددن أيديهن لجمع النقود لبناء مستشفى جديد، وعند مرورنا بجوارهن بصق صديقي في اليد الممتدة إليه بمقت شديد، وعندها أخرجت الراهبة منديلها، ومسحت يدها، ثم خاطبت صديقي وهي تبتسم قائلةً: "حسناً كان هذا لي، والآن ما ذا ستعطي ليسوع؟"، نظر نسيم إلى المنصّر بعد أن انتهى من روايته والدموع في عينيه قائلاً بتأثر "هل يستطيع أي إنسان أن ينسى مثل هذه المحبة"[١])).

ثالثاً: الوسائل، وقد تقدم الحديث عن ذلك بتفصيلٍ يغني عن الإعادة هنا فليراجع[٢].

رابعا: المجتمع، ونعني هنا ما آل إليه الأمر في بعض هذه المجتمعات من ندرة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أو كثرتهم كثرة لا خير فيها، لاقتحامهم ميدان الأمر بالمعروف

(١) التنصير ص١١٢

(٢) انظر: ص ٢٢- ٣٨

والنهي عن المنكر بلا علمٍ أو فقهٍ، فضلّوا وأضلّوا، وعسّروا ولم ييسروا، وفرّقوا ولم يجمعوا.

فتقاعُس جميع فئات المجتمع، بدءً بالأسرة، ومرورا بالمدارس والمراكز والجمعيات الإسلامية، ووصولاً إلى المساجد والأئمة والخطباء والوعاظ عن واجب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه الشرعي الصحيح، والتكافل والتعاون على البر والتقوى، كل ذلك أدى ويؤدي إلى نجاح حملات التنصير بين صفوف المسلمين الأفارقة.

***

أبيض

الفصل الرابع :

مقترحات وحلول لمواجهة التنصير في المستقبل

بادئ ذي بدءٍ، أود أن أسجل هنا تقديري الكبير لكل الجهود التي بذلت إلى حد الآن في مقاومة هذا الخطر المحدق، فكلها جهود مباركة. أما ما يعتري بعضها من نقصٍ هنا وهناك، فأرى أنَّ ذلك من الطبيعي جدًا في مسألة اجتهادية كهذه. ومن هذا المنطلق أرجو أن يوفقني الله لذكر شيء في الأسطر الآتية مما ينفع الله به المسلمين الأفارقة وغيرهم لمجابهة التنصير، وهيئاته، ورجالاته. فأقول مستعينا بالله عز وجل:-

أولاً: على الدعاة التعرف على ما يتيسر من أصول الديانة النصرانية ومصادرها، وطوائفها. والمرجو من ذلك أمران: أولهما التسلح الشخصي من باب "وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني[1] "، والثاني إقامة الحجة على بطلان النصرانية وأخطائها للمنصِّر والمنصَّر على حدٍ سواء. ولعلي أشير هنا إلى نقطة مهمة قد تخفى على الكثيرين، ألا وهي أن هؤلاء المنصِّرين في أكثريتهم هم أنفسهم غير مقتنعين بما يدعون الناس إليه، ولقد صدق المسؤول الغاني الكبير الذي قال: ((إن شبابنا يريدون شيئاً لا يحصلون عليه، ولا أستطيع أن أرغمهم

(١) جزء من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، رواه البخاري ١٣١٩/٣، و مسلم ١٤٧٥/٣

على الذهاب إلى الكنيسة ليستمعوا إلى مبادئ لا يؤمن بها المبشّرون أنفسهم إيماناً راسخاً[1])). وإليكم شهادة أحد هؤلاء المنصِّرين في قوله: ((نتفاخر نحن البروتستانت أنه لا يوجد في عبادتنا أنماط أو رموز، ولكن في الحقيقة هذه موجودة. فالأبنية المتقنة الموسعة والأبراج والنواقيس والصليب الذي يوضع دائما في أعلى واجهة المبنى، وأنواع الثياب التي تلبس في الكنيسة، ومنبر الوعظ، وتنظيم العبادة وساعتها ومدتها وتحديد يومها، واستخدام البيانو والآلات الموسيقية الأخرى ... ومدارس يوم الأحد، واجتماع العبادة في ليلة الأربعاء ... والاحتفال بعيدي الميلاد والفصح، وطرق دفن الموتى، وطقوس الزواج، والصلاة قبل تناول الطعام، ...كلها أنماط ورموز نستخدمها في حياتنا اليومية، ولا يوجد بين هذه الأنماط والرموز أمر واحد أمر به العهد الجديد بصورة محددة... إن التوجيه الوحيد البسيط الذي ورد في الكتاب المقدس كنمط للصلاة وهو رفع الأيادي الطاهرة (تيموثاوس الأولى ٢: ٨) يجري إهماله على نطاق واسع من قبل النصارى البروتستانتيين، ويلتزم به المسلمون فقط... [إلى أن قال] إن تجرؤنا –نحن الغربيين– على القيام بنقل ثقافتنا الغربية إلى أنحاء العالم والترويج لها في الهند وأفريقيا والشرق الأدنى كحقيقة من حقائق الكتاب المقدس ونجعلها مساوية للمسيح،

---

(١) حقيقة التبشير ص١٣٣

يبدو سلوكاً منافياً للطبيعة والعقل[1])). ويقول منصّر آخر: ((إن كل مقاييس الطبيعة غير مناسبة كليةً لتعريف مفهوم المحبة الإلهية على الطريقة النصرانية التي تجعل من الإنسان إلهاً، وابناً للإله، في آنٍ واحدٍ[2])).

ثانيا: لا ينبغي أن يعتقد الدعاة أن هذه المواجهة تتوقف عند مجرد التحذير عن التنصير وبيان خطورته، إذ إن ذلك ليس هو الغاية. بل لا بد من البديل الحق المتمثل في تقديم الإسلام الصحيح الذي لا تشوبه شائبة الشرك أو البدع والخرافات أو الأفكار التخريبية، حتى لهؤلاء المنصِّرين والمنصِّرات.

ثالثاً: علينا كذلك التسلح بالعلم الشرعي أولاً، ثم بالوسائل الناجحة ثانياً، مراعين في اختيارها البيئات والظروف التي تتم فيها المواجهة. وأن ندرك أن التنصير ذاته ظاهرة متجددة ومتطورة من فترة لأخرى. ويبقى الأهم وهو أن لا ننجر وراء هذا السراب إلى حد استخدام وسائل غير نزيهة بحجة أن المنصّرين أيضا قد استخدموها، فالفيصل في هذا هو الضابط الشرعي. الغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، بل إن الوسائل لها حكم المقاصد، كما هي قاعدة أصولية. والصراع بين الحق والباطل ليست فيه نديّة وإنما ضديّة.

---

(١) من بحوث مؤتمر كولورادو التنصيري ص١١٥- ١١٧

(٢) المرجع نفسه ص٢١٨

رابعاً: على كل مسلم ممن ولاهم الله شيئاً من أمور الناس في أي من هذه البلاد أن يبذل ما في وسعه في التأثير على المسؤولين من أجل التصدي للتنصير وعدم تقديم التسهيلات للمنصرين، مع ضرورة مراقبة البعثات الدبلوماسية الأجنبية، والتأكد من أنّها تقتصر على مهماتها السياسية.

خامساً: إن الهيئات الإغاثية الإسلامية في شتى بقاع الأرض تؤدّي الأعمال المنوطة بها بنشاط، ولله الحمد. ولكن حبذا لو وجد التنسيق اللازم في هذا المجال لمضادة المنصّرين، ولعل ما حصل مؤخرا من قيام لجنة سعودية مشتركة لإغاثة مسلمي كوسوفو والشيشان مثال يقتدى به في هذا المجال. وينبغي التركيز أيضاً على التعدد النوعي في هذه الأعمال أكثر من الكمي.

سادسا: على كل شريحة من شرائح المجتمع أن يتحمل مسؤوليته في النصيحة لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم- كما ورد في الحديث الشريف[1]. إذ لا ينبغي أن تترك المواجهة للعلماء والدعاة وطلبة العلم فقط، فعلى الأسرة والأغنياء والمثقفين والعامة تحمل المسؤولية أيضاً كلّ حسب اختصاصه وإمكاناته. وعليهم كذلك أن يكونوا قدوة صالحة تمثل الإسلام تمثيلاً لائقاً في جميع مجالات الحياة السياسة، والتجارية، والاجتماعية، والثقافية، وغيرها.

(١) متفق عليه؛ انظر: صحيح البخاري ١/ ٣٠، و صحيح مسلم ١/ ٧٤

سابعاً: الإعلام ووسائله المختلفة سلاح ضروري لمواجهة التنصير في أفريقيا. ويجب أن يكون موجّهاً توجيها شرعيا علميا حتى لا يخرج عن الهدف المنشود.

ثامنـا: رصد المعلومات الخاصة بتحركات المنصرين وتحليلها تحليلاً علمياً، لتتم الاستفادة منها في إعداد العدة للمقاومة المناسبة. ويمكن أن تقوم بهذا الجمعيات والمراكز الإسلامية المنتشرة في أنحاء القارة، تماماً كما تقوم به المراكز النصرانية، والتي من أبرزها: مركز دراسات الإسلام في أفريقيا في نيروبي، ومعهد الآداب العربية في تونس، ومعهد زويمر للدراسات الإسلامية في كاليفورنيا بالولايات المتحدة[1].

تاسعاً: إدراج مادة "التنصير" ضمن المواد المقررة في المدارس والمعاهد الإسلامية ابتداءً من المرحلة الثانوية فما فوقها. وكذلك عقد لقاءات أو ندوات بين الفينة والأخرى تخصص للبحث في التنصير وما يمثله من أخطار على المسلمين.

عاشراً: الدعم السياسي والمالي اللازمان للمجتمعات المسلمة في هذه الدول، نظير ما تقوم به حكومات الدول الغربية النصرانية، والمؤسسات التنصيرية العالمية في حق الأقليات النصرانية فيها. فمنظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية مثلاً يملكان أوراقاً مهمة للتأثير السياسي والاقتصادي في هذا المجال.

---

(١) انظر: التنصير في الأدبيات العربية ص٨٥

حادي عشر: الحوار الإسلامي النصراني، إن كان لا بد، فلا يتصدى له إلا المؤهل بكل ما تعنيه الكلمة. وليضع المُحاوِر المسلم نصب عينيه الغاية من إجراء الحوار، وأنه لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وليس مجرد منبر للتفاهم وتبادل الثقة. وليتذكر كل محاور مسلم قول الباحث النصراني البروفيسور ديون كراوفورد: ((...[يجب] ألا يؤدي هذا الحوار إلى المساومة على النصوص الإنجيلية ... وعلى المسلمين أن يفهموا أن الحوار يستهدف كسبهم إلى صف النصارى[1])).

ثاني عشر: هناك حاجة ملحّة ليبذل الداعي الأفريقي قصارى الجهد في اكتساب اللغة الأجنبية التي فرضت على جميع هذه الدول، إما لغةً رسمية، أو لغة ثانوية مهمة. وذلك لما لوحظ من محدودية تأثير الداعي الذي لا يملك هذه اللغة في المجتمع الأفريقي، وبخاصة بين الطبقة المثقفة التي تسوس هذه البلاد وتديرها. فلا مجال له للتدريس مثلاً في الجامعات أو المدارس والمعاهد الحكومية، أو الحديث عبر وسائل الإعلام الوطنية التي غالبا ما لا تتعامل إلا بهذه اللغة، ولا حتى إلقاء الدروس أو المحاضرات في مساجد الوزارات والمصالح الحكومية، أو الجامعات. في حين يفتح الباب على مصراعيه للداعية النصراني في كل هذه الأماكن بحجة إجادته للغة الرسمية. أضف إلى ذلك أن الاستعمار الغربي قد نجح إلى حد

(١) انظر: التنصير في الأدبيات العربية ص٨٣

بعيد في إقصاء الأفارقة عموما عن لغاتهم الأصلية وتنفيرهم عنها، مما جعل معظم الناس هناك ينظرون إلى الكاتب أو المحاضر باللغة المحلية بشيء من الاحتقار.

ثالث عشر: التزام الصمت وعدم الإعلان -ما أمكن- لكل ما نقوم به من جهودٍ لمقاومة التنصير.

رابع عشر:- ترسيخ مفهوم الولاء والبراء لدى كل مسلم ومسلمة وحثهم على التقليل من العلاقات بينهم وبين النصارى إلا في ما دعت إليه الضرورة، ويبيحه الشرع[1].

خامس عشر: الامتناع عن إرسال الأولاد والبنات إلى مدارس المنصّرين، فما قد يخسرونها من دينهم هناك أهم بكثير مما قد يكسبونه من دنياهم، والتي يمكن اكتسابها من المدارس الوطنية أو الأهلية الأخرى.

سادس عشر: أن يستغل مسلمو أفريقيا فرصة اجتماعهم السنوي لأداء الحج لتبادل الآراء والخبرات حول التنصير وكيفية مواجهته، ويمكن أن يتم ذلك بالصورة التي قد يرونها مناسبةً، كأن يكون مثلا بشكل لقاءات بين رؤساء الوفود.

سابع عشر: توسيع دائرة التربية والتعليم الإسلاميين، وذلك لمحو هذا الجهل الكبير بأمور الدين بين أبناء المسلمين. ولا نريد أن يُفهم من هذا أننا ندعو إلى ما وقع فيه آباؤنا الأولون من الامتناع عن إرسال أولادهم إلى مدارس العلوم

---

(١) انظر: التنصير ومحاولاته في الخليج ص٨٨

الحديثة سدا للذريعة، فذلك قد أضر بمسلمي أفريقيا كثيراً. ولكن في الوقت نفسه لا تجوز التضحية بالدين طلباً للدنيا، فليحرص كل أبٍ على تحصيل ابنه أو ابنته لما ينفعه في دينه ودنياه من أساسيات التربية الإسلامية والقدرة على قراءة القرآن على الأقل، قبل انخراطه في أي تخصص مما يعود بالنفع على المجتمع.

***

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

ففي ختام هذا البحث، أرى أن أشير إلى خلاصته وأهم نتائجه،وهي كالآتي:

١- أن التسمية الصحيحة لهذه الحملة هي التنصير، وليست التبشير، فهم منصّرون لا مبشّرون، ونصارى أو بولسيون لا مسيحيون، فالمسيح عليه السلام منهم بريء.

٢- أن التنصير لا يعني بالضرورة تحويل المسلم إلى النصرانية، بل تكفي زعزعة عقيدته وتشكيكه في دينه، ووقف امتداد الإسلام أو انتشاره خصوصا بين النصارى.

٣- أن التنصير اليوم – سواء عند الكاثوليك ويعني الكثلكة، أو عند غيرهم من طوائف النصارى- أصبح حقلاً علميا له تخصصات وأقسام علمية، مما جعل هذه الظاهرة أكثر ديناميكيةً وتجدداً.

٤- أن التنصير والاستعمار وجهان لعملة واحدة، أما الاستشراق فإن لم يكن كذلك بالنسبة للتنصير إلا أنه سند قوي له، ويمكن القول بأن التنصير هو الموزّع لما ينتجه الاستشراق.

٥- أن التنصير عموما قد مر بمراحل، تزامنت بدايتها مع دعوة بولس إلى عالمية النصرانية ونقلها من دين التوحيد إلى دين التثليث.

٦- أن أقدم تاريخ وقفتُ عليه لدخول المنصّرين إلى أفريقيا هو عام ١٢١٩م وذلك في مصر، أما من حيث البعثات المنظمة فأولها برتغالية كاثوليكية حلت بالقارة في القرن الخامس عشر للميلاد.

٧- أساليب التنصير في أفريقيا متنوعة، بل تتوزع على جميع جوانب الحياة العامة والخاصة.

٨- أنه لا ينبغي اتخاذ كل وسيلة بحجة أننا نقاوم التنصير بالمثل، بل لا بد من مراعاة الضابط الشرعي فيما تُتّخذ من الوسائل.

٩- دعوى النصارى تحول القارة إلى النصرانية عام ٢٠٠٠م لا يمكن اعتبارها خيالاً، لأنهم لا يقصدون أن يصبح كل أفريقي نصرانيا.

١٠- تعتبر أفريقيا أنشط مركزٍ للتنصير على وجه الأرض، فبها أكثر من نصف البعثات التنصيرية أو المنصّرين الموجودين في العالم كلّه.

١١- أن من أهم أسباب نجاح التنصير في القارة؛ قوة إعداد المنصّرين وجذابة أساليبهم، في مقابل تقاعس

شرائح كبيرة من المجتمع الإسلامي هناك وعدم شعورهم بخطورة الموقف.

١٢- ختمت البحث بمجموعة من المقترحات والحلول، لعل الله ينفع بها في التصدّي لخطر التنصير في ديار المسلمين.

***

أبيض

ثبت المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، للدكتور سعد الدين السيد صالح، ط١، الزقازيق: دار الأرقم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٣- الإسلام في وجه التغريب، لأنور الجندي، القاهرة: دار الاعتصام، د.ت.
٤- أصول التنصير في الخليج العربي –دراسة ميدانية وثائقية–، لـ هـ. كونوي زيقلر، ترجمة: مازن صلاح مطبقاني، ط١، المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٥- أفيقوا أيها المسلمون، للدكتور عبد الودود شلبي، جدة: دار المجتمع.
٦- التبشير المسيحي في منطقة الخليج، لأحمد فون دنفر، بدون بيانات النشر.
٧- التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل، للدكتور إبراهيم عكاشة، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٢م.
٨- التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، للدكتور أحمد سعد الدين البساطي، الهرم: دار أبو المجد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٩- التبشير والاستشراق، أحقاد وحملات على النبي محمد ﷺ وبلاد الإسلام، للمستشار محمد عزت الطهطاوي. القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
١٠- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، للدكتور مصطفى خالدي، و د/ عمر فروخ. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٣م.
١١- تنصير المسلمين، لـ عبد الرزاق دياربكرلي، ط١، الرياض: دار النفائس، ١٤١٠هـ.

١٢- التنصير –خطة لغزو العالم الإسلامي (ترجمة أعمال مؤتمر كولورادو التنصيري عام ١٩٧٨م)
١٣- التنصير في الأدبيات العربية، للدكتور علي بن إبراهيم النملة، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (عمادة البحث العلمي)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
١٤- التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته، لـ سيد أحمد يحيى، ط١، جدة: دار العمير، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٥- التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي، للدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
١٦- الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر (١٧٥٦–١٩٨٦م) –دراسة وثائقية– ، للدكتور خالد محمد نعيم. بدون بيانات النشر.
١٧- جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، لـ عثمان برايما باري، ط١، القاهرة: دار الأمين، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
١٨- حزام المواجهة: حرب التنصير في أفريقيا، لـ جبر الله عمر الأمين و مدبولي إسماعيل عثمان، راجعه: أ.د. زغلول النجار، ط١، الدمام: دار الذخائر للتوزيع والنشر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
١٩- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر. للواء أحمد عبد الوهاب، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢٠- دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، للدكتور عبد الودود شلبي، ط١، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٢١- روائع المعلومات عن أقطار أفريقيا وبعض ما نبغت فيها من المملكات، لـ مصطفى زغلول السنوسي. لاغوس: دار الدعوة والإرشاد،١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٢- الغارة على العالم الإسلامي، لـ أ.ل. شاتليه، ترجمة: محب الدين الخطيب و مساعد اليافي، ط٣، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٣- الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر، للدكتور علي عبد الحليم محمود، ط١، الكويت: دار البحوث العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٢٤- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، ط٥، المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٢٥- قاموس الكتاب المقدس، إعداد: د/ بطرس عبد الملك وآخرين. بدون بيانات النشر.
٢٦- قوى الشر المتحالفة (الاستشراق.التبشير.الاستعمار)، لـ محمد محمد الدهان، ط٢، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٧- الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والعهد الجديد). نشر: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
٢٨- مأساتنا في أفريقيا – الحصار القاسي، لـ عماد الدين خليل، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨م.
٢٩- المستشرقون والتنصير، لـ أ.د. علي بن إبراهيم الحمد النملة، ط١، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٣٠- المسلمون في غينيا، لـ محمد صفوت السقا أميني، ط١، بيروت: مكتب رابطة العالم الإسلامي، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٣١- مصادر النصرانية: دراسةً ونقداً، لـ عبد الرزاق عبد المجيد ألارو، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٧/ ١٤١٨هـ.
٣٢- معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، لـ إبراهيم بن سليمان الجبهان، ط٥، جدة: دار المجتمع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٣٣- المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق، لـ مازن صلاح مطبقاني، ط١، دار الريشة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٣٤- ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، للدكتور إبراهيم عكاشة علي، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (إدارة الثقافة والنشر)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٣٥- موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، للدكتور فيصل محمد موسى، د.ط. طرابلس- ليبيا: الجامعة المفتوحة، ١٩٩٧م.
٣٦- موجز تاريخ نيجيريا، لـ آدم عبد الله الإلوري، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.
٣٧- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. إعداد ونشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٣٨- النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير –دراسة مقارنة، للدكتور محمد عثمان صالح، ط١، المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٣٩- وجاء الدور على الإسلام، لـ رضا محمد العراقي، ط١، الرياض: دار طويق، ١٤١٤هـ.

٤٠- Christian Witness Among Muslims (A Handbook Written Especially For African Christians).
٤١- Encyclopaedia Britannica. Chicago, London: Encyclopaedia Britannica Inc. (William Benton Publishers), ١٩٦٥.
٤٢- Encyclopædia Britannica, ٢٠٠٦, Ultimate Reference Suite DVD.
٤٣- The Encyclopedia Americana (Canadian Edition), Americana Corporation of Canada Ltd., ١٩٥٨.

٤٤- Hart, Michael. The ١٠٠, A Ranking of the Most Influential Persons in History, London: Simon & Schuster, ١٩٩٣.

٤٥- جريدة المدينة، العدد ١٣٣٧٢، ٢١/ شعبان/ ١٤٢٠هـ، الموافق ٢٩/ ١١/ ١٩٩٩م.

٤٦- جريدة عكاظ، العدد ١٢١٥١، الجمعة ٢٥/ ٨/ ١٤٢٠هـ، الموافق ٣/ ١٢/ ١٩٩٩م.

***

السيرة الذاتية للمؤلف
عبد الرزاق عبد المجيد ألارو

الجنسية: نيجيري

تاريخ الميلاد: ٢٠/ ١١/ ١٩٦٨م

اللغات (قراءة وتحدّثا وكتابةً): العربية، والإنجليزية، واليوربا

عنوان المراسلة: ص.ب ١٠٠٤٥ المدينة المنوّرة. الهاتف: ٨١٥٤٧٤٤
الجوّال: ٠٥٠٨٧٩٢٨٩٧

المؤهلات الدراسية:

١- الليسانس في الشريعة (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

٢- الماجستير في الفقه المقارن (جامعة أم درمان الإسلاميّة بالسودان).

٣- الماجستير في العقيدة ودراسة الأديان (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

٤- الدكتوراه في العقيدة (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

العمل الحالي: باحث أ (أستاذ مساعد)، ورئيس وحدة الترجمات الأفريقية، بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

شيء من الإنتاج العلمي

أ- أ) المؤلفات باللغة العربية

١- تاريخ تطور ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة اليوربا –إحدى اللغات الأفريقية الرئيسة- (بحث محكّم)
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٢٣هـ

٢- الخطاب الاستشراقي والقرآن الكريم: التشريعات المالية في القرآن الكريم نموذجاً (بحث محكّم)
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٢٧هـ
٣- موقف الأئمة الأربعة وأعلام مذاهبهم من الرافضة، وموقف الرافضة منهم (كتاب)
الناشر: دار أضواء السلف بالرياض، المملكة العربية السعودية (١٤٢٦هـ)
٤- مصادر النصرانية؛ دراسةً ونقداً (كتاب).
الناشر: دار التوحيد بالرياض، المملكة العربية السعودية (١٤٢٨هـ).
٥- نحو إحياء دور المسجد في المجتمع (بحث/ مقالة)
الناشر: مجلة الفرقان، بدولة الكويت.
٦- المصطلح الشرعي وترجمة معاني القرآن الكريم: دراسة تحليلية (بحث محكّم مقبول للنشر في العدد الرابع إن شاء الله من: مجلة البحوث والدراسات القرآنية الصادرة عن مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوّرة).
٧- التنصير في أفريقيا (بحث لم ينشر بعد).

أ- ب) باللغة الإنجليزية

١- ترجمة إنجليزية لكتاب: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. تأليف نخبة من المشايخ وأساتذة الجامعة بالمدينة المنورة. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (تحت الطبع).

٢- ترجمة إنجليزية لكتاب: نبذ في الصيام لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-

ج) بلغة اليوربا (من اللغات الرئيسة في نيجيريا وجمهورية بنين ومناطق أخرى في أفريقيا)

١- ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة اليوربا (عضو لجنة المراجعة العلمية والتحرير)

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤١٨هـ (الطبعة الأولى ٢٥ ألف نسخة)، ١٤٢١هـ (الطبعة الثانية- ٢٠ ألف نسخة)

٢- ترجمة صوتية لمعاني سورة الفاتحة وجزء عم (مع تلاوة فضيلة الشيخ الدكتور/ علي بن عبد الرحمن الحذيفي)

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوّرة (١٤٢٨هـ)

٣- من هو الولي؟ (مفهوم الولي والولاية في الإسلام)

الناشر: مجمّع السنة للدعوة والبحوث، إلورن- نيجيريا، و جمعية الدعوة الإسلامية في نيجيريا (١٤٢٥هـ).

الأنشطة الأخرى

١- المشاركة ببحوث في عدد من المؤتمرات والندوات العلميّة.

٢- عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والفرق والأديان والمذاهب المعاصرة.

٣- المشاركة في برامج إذاعية وتلفزيونية في كلّ من:

أ إذاعة المملكة العربية السعودية (البرنامج الثاني).

ب- إذاعة ولاية كوارا في نيجريا.

ج- تلفزيون ولاية كوارا في نيجيريا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

***

فهرس الموضوعات

ضوابط النشر
في سلسلة دعوة الحق

١- أن يقدم البحث خدمة للدعوة الإسلامية ويعالج جانباً من مستجدات الأمة وقضاياها.

٢- ألاَّ يكون قد سبق نشره أو قُدِّم للنشر لأيِّ جهة أخرى.

٣- أن يتصف البحث بالأصالة والابتكار والجدة والمنهجية العلمية وصحة اللغة وسلامة الأسلوب.

٤- أن يكون البحث موضوعياً لا يستهدف به تجريح الهيئات والشخصيات.

٥- ألاَّ يقل البحث عن مائة وعشرين صفحة ولايزيد على مائتي صفحة من صفحات السلسلة.

٦- يخضع البحث المقدم للتحكيم العلمي.

٧- أن يرفق المؤلف سيرته الذاتيةَ وقائمةٌ بأهمِ مؤلفاته.

٨- لا تعيد الرابطة البحث للمؤلف.

٩- يفضل أن يكون تنسيق البحث على النحو التالي:

(أ) مقاس الصفحات ١٤×٢١سم.

(ب) الهوامش: أعلى، أسفل، يمين، يسار (٢) سم.

(ج) الخط لوتس لينوتيب أو مهند ، حجم (١٦) عادي.

(د) العناوين الرئيسة حجم (٢٠) أسود.

(هـ) مع إرفاق البحث على قرص ممغنط (CD).

والله ولي التوفيق.

❖❖❖

يمكن الاطلاع على ما صدر عن السلسلة من خلال موقع الرابطة :

www.themwl.org

بريد المراسلة : dawatulhag@themwl.org

هذا الكتاب

التنصير ظاهرة عالمية تنشط في جهات كثيرة من العالم، ولكن الملاحظ أن ثمة جهات تحظى بعناية خاصة وتركيز عال من منظمات التنصير وجنوده ، ومن هذه الجهات القارة الإفريقية، وهذا التركيز من قبل تلك المنظمات لم يأت عن فراغ، بل لذلك دوافع وأسباب متعددة .

ففي هذا الكتاب نعرض بشكل مختصر عن "التنصير في أفريقيا": ماضيه وحاضره، وما بين ذينك من الأطوار، وأساليبه، ووسائله أو ميادين نشاطه، وأهدافه، ومدى ما تحقق منها في ضوء النتائج الواقعية، وأهم الجهات التي تقف وراءه، وأبرز مراكزه ومؤسساته .

ثم ما هو موقف مسلمي هذه القارة مما يجري بين ظهرانيهم من النشاط التنصيري المكثف، أهو موقف المتفرج، أم المتعاطف، أم المقاوم . ونعرج أيضا في هذا الكتاب على أسباب نجاح المنصرين، وما ينتظر من المسلمين عمله حيال ذلك، قبل أن نختمه بذكر شيء من الحلول والمقترحات لمواجهة هذا الخطر.

لقد حاولت في هذا الكتاب – قدر الإمكان – شمول البحث لجميع جهات القارة الأفريقية ، وبذلت جهدي في التركيز على المعلومات المحددة، واعتماد الأصح منها عند التعدد .

ردمد ٢٤٣٤ - ١٣١٩ ISSN